مجموعة المعارف العقلية

الكتاب الاول

التربية الدينية

العلامة الدكتور

عبد الهادي الفضلي

التربية الدينية

سر شناسه : فضلی ، عبدالهادی ، ١٩٣٤م ـ
Fadli, Abd al - Hadi
عنوان و نام پدیدآور : التربیه الدینیه : دراسه منهجیه لاصول العقیدة الاسلامیه/عبدالهادی الفضلی .
مشخصات نشر : قم : مؤسسه دائرة معارف الفقه الاسلامی طبقاً لمذهب اهل‌البیت(ع) ، ١٣٨٦ .
مشخصات ظاهری : ١٩٩ ص .
فروست : مجموعة المعارف العقلیه الکتاب الاول
شابک : 978-964-2730-21-6
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی
یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشران متفاوت منتشر شده است .
عنوان دیگر : دراسة منهجیه لاصول العقیده الاسلامیه .
موضــوع : شیعه ـ ـ اصول دین .
موضــوع : شیعه ـ ـ عقاید .
شناسه افزوده : مؤسسه دائرة المعارف فقه اسلامی .
رده بندی کنگره : ١٣٨٦ ٤ب٦ف /٥/BP٢١١ .
رده بندی دیویی : ٢٩٧/٤١٧٢
شماره کتابشناسی ملی : ١٠٨٨٠٧١

الطبعة الخامسة
١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

عدد النسخ : ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة : محمّد

الناشر :

مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي
Islamic jurisprudence Encyclopedia Institute

ايـران ـ قم المقدسة
ص . ب : ٣٧١٨٥/٣٧٩٦
هاتف : ٧٧٣٩٩٩٩/فاكس : ٧٧٤٤٩٦٣

Iran - Qum
P.O. Box 3796/37185
Tel. +982517739999/Fax +982517744963

وكلاء التوزيع :

لبنان: بيروت ـ حارة حريك ـ بناية البنك اللبناني السويسري ـ مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع
هاتف : ٩٦١٣٦٤٤٦٦٢+ و ٩٦١١٥٥٢٢٦٢+ تلفاكس : ٩٦١١٥٥٨٢١٥+
العراق: النجف الأشرف ـ دار الغدير للطباعة والنشر . تلفون ٩٦٤٣٣٧٣٥٦٣+

مجموعة المعارف العقلية

الكتاب الأول

التربية الدينية

دراسة منهجية لأصول العقيدة الإسلامية

العلامة الدكتور

عبد الهادي الفضلي

بسم الله الرحمن الرحیم

تقديم الطبعة الخامسة

صدع رسول الله ﷺ بالإسلام في شبه الجزيرة العربية في مدينة مكّة المكرّمة، العاصمة الدينية للجزيرة العربية التي لم يكن كثير من أهلها يعيشون حالة من التديّن بأحد الأديان الإلهية، ولم تكن كثير من المفردات الدينية متداولة بينهم، ما خلا بعض الطقوس العبادية التي توارثوها.

فكانوا يحجّون ويطوفون حول الكعبة المشرّفة ويمارسون بعض أعمال الحج والعمرة التي هي من آثار الديانة الحنيفية الإبراهيمية.

ولمّا صدع الرسول ﷺ بدين الإسلام حاول أن يغرس في نفوس هؤلاء العرب الإيمان بالله سبحانه ويعمّق هذا الإيمان في نفوسهم ليكون وسيلة لإيقاظ الفطرة الإنسانية فيهم، ولينعكس ذلك على واقع سلوكهم اليومي.

وقد حاول الرسول ﷺ عن طريق تعريف المسلمين بالعقائد الإسلامية الحقّة ـ التي كان من أهمها بيان صفات الخالق وإعطاء صورة موجزة عن النبوات السابقة ويوم المعاد ـ ربط المسلمين نفسيًّا وتاريخيًّا بالله سبحانه مصدر الوجود ومنتهاه.

وقد ساهم القرآن الكريم في وضع أسس العقيدة الإسلامية بجانب أحاديث ووصايا وتعاليم النبي محمد ﷺ.

وكان الغرض الأساس من توضيح هذه الأسس وشرحها هو تعميق هذه العقائد في نفوس المسلمين وربطهم بالله سبحانه بشِكْل أوثق وأعمق وأكثر تعلّقًا، وذلك لما لهذه الأسس من دور في إعطاء صورة مشرقة عن الدين الإسلامي مبدأً ومعادًا مقارنة بما سواه من معتقدات في ذلك الوقت.

وتشكّل النصوص الإسلامية الأولى (القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ) العناصر الأولى لنشوء علم الكلام فيما بعد.

هذه النصوص التي صيغت بطريقة تتناسب والدور الذي كان من المفترض أن يؤدّيه علم الكلام لاحقًا، وهو تعميق الروح الإيمانية التوحيدية لدى الفرد المسلم وربطها بخالقها الذي يهبها الصفاء والإخلاص النفسيَّين.

ولكن بعد رحيل الرسول ﷺ واختلاف أمته على عدّة مذاهب وطرق واتجاهات أخذ كل فريق منهم يضع تصوّره الخاص حول مسائل العقيدة وأصول الدين، وأخذ ـ كذلك ـ يستدلّ على هذه التصوّرات، ما جعل علم الكلام ينحصر دوره في التدليل على المسائل العقدية وردّ شبهات كل فريق على الفريق الآخر، الأمر الذي حرف هذا العلم في أن يكون له الدور الإيجابي في مسألة تعميق العقيدة وتمكينها في نفوس المؤمنين بها.

علم الكلام والمنهج العقلي

يعدّ علم الكلام من العلوم العقلية، وذلك لغلبة رجوع أهل الفن فيه إلى الاستدلال بالمبتنيات العقلية على جانب الاستدلال بالمنقولات من أصول الشريعة.

وهذا ما أبعد علم الكلام كثيرًا عن معطيات الوحي والنصوص الشرعية الأخرى وما لابس ذلك من وقائع تاريخية في كثير من بحوثه. فالإسلام عندما صدع به الرسول ﷺ واجه العديد من التساؤلات من بني محيطه وبيئته في أساس وأصل هذا الدين ونشأة الخلق ومنتهاه.

وكان للنصوص الدينية ومواقف الرسول ﷺ دور بارز في الردّ على هذه التساؤلات.

بل إن جزءًا كبيرًا من آيات القرآن الكريم معقود لبيان هذه الأصول ومناقشتها والردّ عليها، خصوصًا السور المكّية منها.

وهذه الإشارات نادرًا ما تواجه الدارس لعلم الكلام، وكأن المسلم يعيش تناقضًا بين تاريخه الإسلامي في عرض وردّ هذه المسائل وبين ما يدرسه كعلم متخصّص حولها وفيها، وكأنَّ هناك افتراقًا واضحًا بينها.

وتتعمّق هذه النقطة لدى المسلم الناشئ الذي يدرس أسس العقيدة الإسلامية وَفْقَ المنهج الكلامي العقلاني، فحين يدرس تاريخ السيرة النبوية ويرى كيف كان النبي ﷺ يواجه قومه بالردّ على تساؤلاتهم واعتراضاتهم وفي الوقت نفسه يرى ما كان يقوم به القرآن من عرض لهذه المسائل وردّها بالدليل السهل اليسير ـ فعادةً ما يدرس الناشئة السور القرآنية القصار التي غالبًا ما تكون سورًا مكّية تعالج مسائل المبدأ والمعاد ـ لا يجد تناغمًا بين هذا الواقع التاريخي الإسلامي وما يعطى كتأصيل لهذه العقيدة داخل علم الكلام، بسبب المعالجة العقلية الصرفة في كثير من مسائله.

المنهج التكاملي في دراسة علم الكلام

بين هذه المفارقة التي يقع فيها علم الكلام وبين وضع مسائله وَنَظْمِها على شِكْلِ مسائل علمية مترتّبة في أبواب وفصول وعناوين تتناسب والنصوص الإسلامية المؤسِّسة يقع المنهج التكاملي الذي يقترحه العلاّمة الدكتور عبد الهادي الفضلي في تدريس ووضع مسائل علم الكلام.

حيث يقترح سماحته أن تدرّس مسائل علم الكلام بالدمج بين معطيات الوحي والنصوص الدينية وبين مبتنيات العقل، خصوصًا أنه يذهب إلى أن مصادر المعرفة الإنسانية لا تنحصر في الحسّ والعقل ـ كما يعبّر الفلاسفة ـ، بل يضيف إليها الوحي والإلهام الإلهيين، ويعدّ إضافة هذين المصدرين من

معطيات وإضافات الدين، فالفلاسفة ـ بدون النظرة الدينية ـ يحصرونها في المصدرين اللذين أشرتُ إليهما، ولكن واقع الدين يوسّع هذه المصادر ويربّعها[١].

وباعتبارٍ من هذا لا يمكن إغفال معطيات الوحي في تأصيل المعرفة الإنسانية، بالخصوص العقدية منها، خصوصًا أن العلاّمة الفضلي يذهب ـ كما يذهب جميع المتديّنين بالإسلام ـ إلى ألاَّ تعارض بين العقل والشرع/ الوحي، ويؤكّد على هذا في أكثر من موضع، وربما انفرد بهذه النقطة في الجدل الدائر بين الأشاعرة والعدلية (المعتزلة والشيعة) في مسألة التحسين والتقبيح: هل يدرك العقل ذلك أو لا يدركه، حيث يذهب هناك إلى أن الجدل دائرٌ بين أمرين لا تعارض بينهما في الأصل، فسواء قلنا بإمكانية التقبيح العقلي أو لم نقل فلا ثمرة واقعية له، لأن ما يقبّحه العقل يقبّحه الشرع وما يحسّنه العقل يحسّنه الشرع والعكس صحيح[٢].

وهو بهذا يبيّن ـ وبوضوح ـ أهمية هذه النقطة في تأصيل العقيدة وتقعيدها في علم الكلام والفكر الديني لدى المثقّف المسلم.

وقد بيّن سماحته معالم المنهج التكاملي في دراسة علم الكلام في تقديمه لكتابه «خلاصة علم الكلام» تحت عنوان: «منهج علم الكلام».

كتاب «التربية الدينية» ودوره في الموازنة

حينما ألف سماحة العلاّمة الفضلي كتابه «التربية الدينية» ـ وكان أول ما وضع من مقرّرات دراسية ـ كانت معظم المؤلّفات الكلامية المبسّطة ـ والمعمّقة

---

(١) انظر: أصول البحث للمؤلف، عنوان «مصادر المعرفة»، نشر الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ـ لندن، ط ١، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢، ص ٢٨ ـ ٣٢. وكذلك محاضرة للمؤلف بعنوان: «الإسلام والمفاهيم الضيقة».

(٢) بيّن سماحته هذا الرأي في إحدى جلساته العامّة في مجلسه العام.

منها ـ تتوسّل المنهج العقلي في عرض المادّة العلمية لعلم الكلام، وتتبع التقسيم الخماسي لأصول الدين: (التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد).

ولكن سماحته سلك طريقًا آخر في استعراضه لهذه المادّة في «التربية الدينية»، حيث وضع الدليل العقلي بجانب الدليل القرآني والروائي (النقلي/ الوحي) كما أنه ربّع أصول الدين، فحدّدها في: التوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد.

مستثنيًا منها أصل العدل، حيث عدّه إحدى صفات الله تعالى التي تبحث ضمن أصل التوحيد تحت عنوان «كمال الله»، دون الحاجة إلى عدّه أصلاً مستقلاً، يقول في ذلك: «عدلتُ عن التقسيم الخماسي المعروف لأصول الدين، الذي يتضمّن (العدل) بالإضافة إلى الأصول الأربعة المذكورة، لأن منهجة البحث تفرض أن يدرج العدل ضمن (التوحيد)، لأنه صفة من صفات الله تعالى، ولأن إفراده من صفات الله تعالى، وعدّه أصلاً مستقلاً، نشأ نتيجة صراع فكري بين طائفتين من المسلمين اختلفتا في مفهومه، وليس في أصل وجوده واتصاف الله تعالى به»(١).

والشيخ الفضلي حينما سلك هذا المنهج في وضع «التربية الدينية» إنما انتخب ذلك انتخابًا من بين المناهج والطرق المطروحة في معالجة مادّة ومسائل علم الكلام، وذلك لما يتميّز به هذا المنهج مِنْ إبرازٍ للدور الذي من المفترض أن يقوم به علم الكلام، وهو ترسيخ العقيدة الإسلامية وأصولها من خلال معطيات العقل وما يعضّد ذلك من إشارات ونصوص الوحي الإلهي، وكذلك تطعيم هذه المواد والمسائل بشيء غير يسير من التاريخ الإسلامي الذي يصب في هذا الاتجاه.

---

(١) انظر: مقدّمة الكتاب فصل «مصطلحات أساسية»، العقيدة، في الهامش.

منهج المؤلف في الكتاب

قسم المؤلف الكتاب إلى خمسة فصول: مقدّمة اشتملت على تعريف بأهم المصطلحات الأساسية في الكتاب. أصل التوحيد. أصل النبوّة. أصل الإمامة. أصل المعاد.

وقد تنوّع منهج المؤلّف في معالجة موادّ ومسائل الكتاب إلى نوعين، وذلك تبعًا لطبيعة المادّة المبحوثة، فمعظم مسائل التوحيد والمعاد تدور حول الأمور الغيبية، ولا يمكن التعامل معهما تعاملاً ماديًا أو طبقًا لقوانين وأحكام الواقع المادّي، كما أنه لا يمكن الاعتماد في التحليل والتدليل عليهما على نتائج العقل وحده، وذاك لقصور العقل الإنساني عن إدراك بعض متعلقاتهما الغيبية الخالصة.

لذلك حاول المؤلّف في هذين الأصلين ـ وأصل التوحيد بالذات ـ أن يأتي بالأدلة العقلية التي يذكرها الكلاميون ليعرضها عرضًا مبسطًا معضّدًا ذلك بالآيات القرآنية التي تناولت هذه الأدلة مع شرح لكل آية يتناسب والمرحلة العمرية التي يخاطبها الكتاب (١١ ـ ١٣ سنة).

وقد قسّم المؤلف أصل التوحيد إلى ثلاثة أقسام: وجود الله تعالى. وحدانية الله. كمال الله، حيث عرض في هذا القسم مظاهر كماله تعالى في صفاته من العلم والقدرة والعدل والحياة وغيرها.

بينما قسّم أصل المعاد إلى قسمين: الأول: أدلة المعاد، مقسّمًا الأدلة إلى: نقلية قرآنًا وسنةً وإجماعًا، وعقلية. والآخر: مراحل المعاد.

وأنت ترى ـ عزيزي القارئ ـ أن المؤلف قد اقتصر في هذين الأصلين على عرض مسائلهما والتدليل عليها من العقل والنقل.

بينما سلك في أصلي النبوّة والإمامة مسلكًا مغايرًا، وذلك لاختلاف طبيعة هذين الأصلين عن سابقيهما، باعتبار أن النبي والإمام كما يرتبطان في جانب من جوانبهما بالغيب فهما أقرب في كثير من الجوانب الأخرى إلى الحالة التاريخية الواقعية، ولذلك ترتبط كثير من مسائلهما ارتباطًا وثيقًا بالجانب

التاريخي، ولا يمكن فهم كثير من ملابسات هذه المسائل إلا من خلال البحث التاريخي ودراستها من خلال واقعها العملي الميداني وربطها بالأحداث والوقائع الأخرى.

وبحث هذين الأصلين بالالتفات إلى هذه النقطة هو مما تميّز به الكتاب، وقد تطلّب ذلك من المؤلِّف أن يبدأ الفصل بذكر الأسس النظرية والمصطلحات العلمية الخاصة بالأصل لينتقل بعدها إلى عرض تاريخي لحياة نبينا الأكرم محمد ﷺ في أصل النبوّة، وذلك كأنموذج لسيرة وصفات الأنبياء. وهكذا في أصل الإمامة، حيث يبدأ بذكر الأسس النظرية لأصل الإمامة من الأدلة والمفاهيم لينتقل بعدها إلى سرد تاريخي مختصر لحياة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، يتعرّف الدارس من خلاله إلى أصل الإمامة من واقعه التاريخي لا النظري فقط.

إضاءات على كتاب «التربية الدينية»

سأحاول في هذه النقطة بيان بعض مميزات الكتاب، وذلك ضمن العناوين التالية:

١. دراسة أصول الدين وَفْقَ المنهج التكاملي

أشرتُ في صدر التقديم إلى أن المؤلِّف سلك في ترتيب وعرض موادّ ومسائل الكتاب المنهجَ التكامليَّ الذي اقترحه في دراسة علم الكلام، وهذه النقطة تعدّ من مميزات الكتاب، وذلك لما يحمله هذا المنهج من ربط وثيق بين معطيات الدين الإلهية ومعطيات العقل البشرية، ما يؤسِّس تاليًا لثقافة دينية عقلانية عند المسلم تتعقّل المسائل الدينية بعمق إيماني خالص.

٢. التخلّص من المصطلحات القديمة

وُضِعَ هذا الكتاب/ المقرّر للأعمار ١١ ـ ١٣ سنة، وقد تطلّب هذا الأمر من المؤلّف أن يراعي مسألة المرحلة العمرية في مصطلحات الكتاب وأسلوب الخطاب فيه، فبدلاً من التعبير بِـ «دليل السببية» عبّر بِـ «الشعور بالسببية»، وعوضًا عن «الدليل الفطري» عبر بِـ «فطرة التديّن»، كما عبّر بِـ «استقامة النظام الكوني» بدلاً عن «دليل النظام»، وغيرها من التعابير القديمة التي قد لا تتناسب وهذه المرحلة.

٣. خضوعه للتجربة والمراجعة

أشار المؤلِّف في مقدّمة الطبعة الرابعة للكتاب بأنه عبارة عن «خلاصة وافية في التعريف بأصول العقيدة الإسلامية في إطار دراسة منهجية، أخضعت للتجربة عشر سنوات في مجال دراسة الحلقات الدينية ومجال الدراسة المتوسطة الصفية وأجري عليها شيء من التعديل والتهذيب بما يعطي الوثوق بصحة المنهج واستقامته».

وهذه النقطة من أهم مميزات الكتاب، حيث إنه كان يخضع لعملية مراجعة وتطوير من خلال ملاحظات المعلمين والتربويين، وهذا كفيل بظهور أثرٍ بارز فيه للفترة الزمنية لتجربة الكتاب.

٤. تطعيمه بالنصوص المساعدة

بعد نهاية كل موضوع رئيس يطعّم المؤلّف الكتاب بنصوص مساعدة تصب في نفس الموضوع، ففي نهاية الفصل الثاني (أصل التوحيد) حيث تناول هناك مواضيع: توحيد الله ووحدانيته وكماله يختم الفصل بذكر آيات سورة التوحيد التي تحتوي على عدد من صفات الله تعالى، ومنها صفة الوحدانية. وكذلك ذكر آيات من وصايا لقمان التي تحتوي على ذكر لبعض صفات الله تعالى.

وبعد استعراضه لسيرة مختصرة عن نبينا محمد ﷺ يعرض حديثًا عن النبي ﷺ بعنوان «المسؤولية العامّة»، يتحدّث فيه الرسول ﷺ عن توزيع المسؤوليات داخل المجتمع الإسلامي.

وهكذا بعد الانتهاء من الحديث عن الأئمة عليهم السلام يورد شيئًا من وصاياهم أو آثارهم المهمّة ـ كنهج البلاغة للإمام علي عليه السلام أو الصحيفة السجّادية للإمام زين العابدين عليه السلام ـ أو الحديث عن بعض تفاصيل المعاد، حيث ينهي الحديث هناك بذكر لسورتي الزلزلة والقارعة.

٥. التحليل التاريخي للأحداث

أشرتُ إلى أن المؤلِّف حينما تناول أصلي النبوّة والإمامة سلك في تناولهما عرضَ شيءٍ من السرد التاريخي لحياة النبي محمد ﷺ في أصل النبوّة وسرد مختصر لسيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ولكن هذا السرد لم يكن عرضًا تاريخيًا مجرّدًا، بل حاول العلاّمة الفضلي أن يضفي عليه شيئًا من التحليل لبعض المواقف، حتى يفهمها المتلقي ضمن سياقها وملابساتها المحيطة بها.

فعند بدء استعراضه لحركة الدعوة الإسلامية على يد النبي محمد ﷺ بيّن أن أي حركة إصلاحية لا يمكن أن تؤدّي مفعولها وتحدث تغييرًا داخل بيئتها الاجتماعية ما لم تتوفّر على ثلاث قوى، هي القوة الفكرية والمالية والاجتماعية، ثم بيّن أن النبي ﷺ ـ في حركته الدعوية ـ قام بتأمين هذه القوى الثلاث، حيث تمثّلت القوة الفكرية في إعداده الفكري والرسالي للإمام علي عليه السلام، والقوّة المالية في الدعم المالي الذي قدمته زوجه السيدة خديجة عليها السلام، بينما تمثّلت القوّة الاجتماعية في الدعم والمساندة التي كان يقدّمها عمّه أبو طالب عليه السلام بسبب ما كان يملكه من وجاهة اجتماعية في قريش.

وهكذا عندما تناول حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته في معركة كربلاء بيّن الأثر السياسي والاجتماعي والفكري لهذه الواقعة من خلال استعراضه لأهم نتائج هذه الحركة، يقول في هذا الصدد:

«وأهم ما استفاده المسلمون من شهادة الإمام الحسين عليه السلام في القضاء على الأمويين ما يلي:

١. كشفت شهادته عليه السلام واقع الحكّام الأمويين. وفضحت أن تسترّهم بالإسلام كان خديعة للمسلمين.
٢. بعثت الشعور بالمسؤولية الاجتماعية لدى الواعين من المسلمين فكانت العامل الوحيد لثورة التوّابين.
٣. دفعت المسلمين إلى الثورات المتتالية ضدّ الأمويين، وقد تمثل هذا الدفع في ثورات العلويين.
٤. ساهمت كعامل أهم في سقوط الدولة الأموية».

ظهور الكتاب قبل هذه الطبعة

ظهرت في النجف الأشرف في خمسينيات القرن الماضي جمعيات ومؤسسات ثقافية عديدة، كان همّها النهوض بالحركة الثقافية في مدينة النجف، وربما كان أكثرها شهرة «جمعية منتدى النشر»، التي «تأسست عام ١٣٥٤ هـ، وقامت بدور تطوير الحياة الدراسية والثقافية في النجف الأشرف، ففتحت «المجمع الثقافي» الذي قام بإعداد عدّة مواسم ثقافية، وألقيت فيها الكثير من المحاضرات العلمية والأدبية، وبإصدار ونشر بعض الكتب، أمثال: حقائق التأويل (الجزء الخامس) للشريف الرضي، والشيعة الإمامية للشيخ محمد حسين المظفّر ... وفتحت مدرسة ابتدائية، تمتاز بتخصيص حصّة في كل يوم لدرس الصلاة التطبيقي، وبالتوسع في منهج التربية الدينية.

ومدرسة ثانوية، تمتاز بالتوسع في منهج التربية الدينية، وبإضافة مناهج خاصّة لعلم العقيدة الإسلامية وعلم الفقه وأصول الفقه وعلم المنطق»[(١)].

---

(١) دليل النجف الأشرف للمؤلّف، منشورات مكتبة التربية في النجف الأشرف، بدون تاريخ، ص ١٠٢.

وهذه المدارس الأهلية التي أسستها «جمعية منتدى النشر» كان بإمكانها ـ حسب نظام وزارة المعارف العراقية في ذلك الوقت ـ أن تتوسّع في مادّة التربية الدينية، بأن تضيف على المقرّر الرسمي الذي تصدره الوزارة ما تراه مناسبًا من مقرّرات تضعها أو تختارها.

وقد طلبت الجمعية ـ التي كان يرأسها مؤسِّسُها الشيخ محمد رضا المظفّر ﷺ ـ من الشيخ الفضلي وضع مقرّر التربية الدينية ليعتمد في مدارس جمعية منتدى النشر مقررًا دراسيًّا رسميًّا.

يقول المؤلّف عن تأليفه ووضعه لهذا المقرّر:

«أُخضع الكتاب للتجربة فترة من الزمن قمتُ خلالها بتدريسه، وسجلتُ ملاحظاتي التي ظهرت لي أثناء عملية التعليم، ثم قام معلمون آخرون بتدريسه وسجلوا عليه ملاحظاتهم، وبعد هذه التجربة قمتُ بصياغته صياغة نهائية وتعديله وَفْق الملاحظات التي ظهرت أثناء قيامنا بتدريسه.

وكانت أول طبعة منه بمساعدة من السيد محسن الحكيم ﷺ، وبعد ذلك تكررت طبعات الكتاب. فالسيد الحكيم ﷺ قام بطبعه عدّة مرات ليبعثه مع الرسالة العملية ككتاب مبسّط عن أصول الدين، حيث كانت الطريقة المتبعة قديمًا أن يُقدَّم للرسالة العملية بمقدّمة بسيطة عن أصول الدين، ليشرع الفقيه بعد ذلك بتناول فروع الدين التي تمثّل مجمل أبواب الفقه.

كما أن السيد الشهيد محمد باقر الصدر ﷺ ساهم في طبعه ونشره. وبعد ذلك أخذ الكتاب طريقه إلى النشر من قبل الناشرين دون علم أو متابعة من قبلي.

وفي الفترة التي اعتمد الكتاب كمقرّر دراسي في متوسطات جمعية منتدى النشر سلك طريقه أيضًا في حلقات الدراسة الحوزوية، بجانب ما يدرسه

الطالب في مرحلة المقدّمات، حيث يدرسه كمقدّمة لدراسة علم الكلام فيما بعد»[١].

وعن سبب اختياره من بين علماء ومنتسبي الحوزة في النجف لوضع المقرّر يقول:

«ربما كان القائمون على جمعية منتدى النشر يقدّرون بأني الأكثر معرفة وخبرة في مسألة الكتابة المنهجية، لأن الكتاب الدراسي لا بدَّ أن يكون منهجيًّا يجمع بين عنصري التعليم والتربية، وعلى هذا الأساس تمّ اختياري، لما يعتقدونه من أني الأقدر على تحقيق هذين العنصرين»[٢].

وعن انتشار الكتاب في مناطق العراق يشير المؤلف إلى أن الكتاب: «كان ـ في البدء ـ مقرّرًا دراسيًّا لمدارس جمعية منتدى النشر فقط، ثم أخذ طلبة الحوزة المبتدئون دراسته كمقرّر من مقرّرات مرحلة المقدّمات بجانب المقدّمة الآجرومية وغيرها من الكتب الأولى التي يدرسها طالب الحوزة في هذه المرحلة.

هذا بالإضافة إلى اعتماده في الدورات التي كانت تفتح للتعليم الديني في فترة الصيف في مكتبات السيد الحكيم المنتشرة في مناطق العراق، وذلك لسهولة تناول المادّة العلمية فيه بالمقارنة مع غيره من المقررات»[٣].

وقد تعدّدت طبعات الكتاب بعد ذلك في العراق ولبنان وإيران.

الطبعة الخامسة من الكتاب

في العام ١٤٢٦ هـ تأسست لجنة تهتم بطباعة ونشر مؤلّفات العلاّمة الفضلي بالتنسيق المباشر مع سماحته، وقد رأى العلاّمة الدكتور أن تطبع هذه

---

(١) مجلة الكلمة، العدد ٥٥، السنة الرابعة عشرة، ربيع ٢٠٠٧ م/ ١٤٢٨ هـ، حوار مع العلاّمة الدكتور عبد الهادي الفضلي حول تحديث نظام الدراسة الدينية، ص ١٦٥.

(٢) م. ن.

(٣) م. س، ص ١٦٦.

المؤلّفات على شِكْل مجموعات علمية، وقد خرجت للنور مجموعة أصول الفقه كأول مجموعة منها، حيث اشتملت على الكتب التالية:

١. مبادئ أصول الفقه.
٢. الوسيط في فهم النصوص الشرعية.
٣. دروس في أصول فقه الإمامية ـ جزءان.
٤. التقليد والاجتهاد.

وسيكون كتاب التربية الدينية أول كتب المجموعة الثانية، وهي «مجموعة المعارف العقلية»، التي ستشمل ـ بالإضافة إليه ـ المؤلّفات التالية:

١. خلاصة المنطق.
٢. خلاصة علم الكلام.
٣. خلاصة الحكمة الإلهية ـ وهو من أواخر مؤلّفات العلاّمة الفضلي، والذي ألّفه ليستكمل به هذه المجموعة.

وقد قامت اللجنة بإعداد هذه المؤلّفات ومراجعتها ومطابقتها مع الأصول، وذلك بإشراف مباشر من المؤلف مع ما يمرّ به من ظروف صحيّة صعبة.

وكنت قد أجريت مع المؤلّف ـ حفظه الله ـ مقابلة خاصة حول تحديث نظام الدراسة الدينية (نشرت في العدد ٥٥ من مجلّة الكلمة السنة الرابعة عشرة عن ربيع ٢٠٠٧ م/ ١٤٢٨ هـ)، خصّصتُ جانبًا منها للحديث عن كتاب «التربية الدينية»، فرأيت من المناسب وضع هذا الحوار كملحق في خاتمة الكتاب، وذلك لما فيه من فائدة علمية تمسّ جانبًا مهمًّا من الكتاب وتسلّط الضوء على تجربة المؤلّف الخاصّة في وضع المناهج والخلفية النظرية التي يستند عليها في ذلك.

آملين من العليّ القدير أن يمنّ على سماحة العلاّمة الدكتور الفضلي بالصحة والعافية ومديد العمر، وأن يوفقنا لاستكمال مشروع نشر جميع

مؤلّفاته خدمةً لهذا الدين الحنيف الذي وطّن سماحة العلاّمة عمره في خدمته وبَذَلَ جلّ جهده وفاءً له.

إنه تعالى ولي التوفيق وهو الغاية.

حسين منصور الشيخ

لجنة مؤلّفات العلاّمة الفضلي

www.alfadhli.org

مقدمة الطبعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد:

هذه خلاصة وافية في التعريف بأصول العقيدة الإسلامية في إطار دراسة منهجية، أخضعت للتجربة عشر سنوات في مجال دراسة الحلقات الدينية ومجال الدراسة المتوسطة الصفية وأجري عليها شيء من التعديل والتهذيب بما يعطي الوثوق بصحة المنهج واستقامته.

وإني إذ أعود فأقدمها ـ إلى القارئ الكريم ـ وفي طبعتها الرابعة، أرجو أن أوفّق إلى قبول هذه الخدمة المتواضعة، وأن أثاب عليها من قبل الله تعالى، إنه ولي التوفيق وهو الغاية.

عبد الهادي الفضلي

النجف الأشرف

٠١/ ٠٧/ ١٣٩٠ هـ

مصطلحات أساسية

١. الدين

هو: عقيدة إلهية ينبثق عنها نظام كامل للحياة.

وهناك تعريف آخر للدين، وهو:

الدين: علاقة فردية بين الإنسان وخالقه.

وهو التعريف الغربي المشهور.

إن هذا التعريف الغربي تعريف خاطئ، لأنه لا يلتقي وواقع ديننا (الإسلام)، وذلك لأن الإسلام لم يقتصر على توجيه وتنظيم علاقة الإنسان بربه فقط. بل يشمل كل علاقات الإنسان: فردية واجتماعية، بين الإنسان وربّه، وبين الإنسان وجميع ما في الكون والحياة.

وقد عمل الاستعمار الغربي على إشاعة هذا التعريف الخاطئ في أذهان أبنائنا عن طريق المناهج التعليمية وغيرها ليتم له فصل الدين الإسلامي عن الحكم، فيتخلّص منه، لأن الإسلام يحارب الاستعمار، ويحرّم الخضوع للكافر، ويوجب على المسلمين أن يعيشوا في ظل حكم إسلامي، ويلزمهم بالخضوع إليه، والمحافظة عليه.

فمن الواضح أن الاستعمار الغربي ـ وهو يدرك ذلك ـ حينما يستطيع الخلاص من الإسلام يستطيع أن يستمر باستغلاله للمسلمين، لأن الطريق

الوحيد الذي يخلص المسلمين من الاستعمار هو تحكيم الإسلام في حياتهم. فلذا عمل الغربيون على نشر هذا التعريف الخاطئ، بيننا ليخدرونا به، ويبعدونا عن مكافحة استعمارهم، وعن الدعوة إلى إقامة حكم إسلامي.

والوعي الذي انتشر في بلداننا الإسلامية ضد الاستعمار الغربي لم يكن وعيًا إسلاميًّا في بدايته، ولذا قامت محاولات كثيرة لاستبدال الحكم الغربي الكافر بحكم كافر آخر، وذلك لأننا حتى الآن لا يفهم الكثيرون منّا عن الدين غير ما عرّفنا الغربيون عنه.

فمن الضروري للطالب المسلم معرفة هذا الفرق بين تعريفنا للدين وبين التعريف الغربي، ومعرفة الأسباب التي دعت الغربيين إلى نشر تعريفهم الخاطئ عند أبناء أمتنا الإسلامية، وبيان ذلك للمسلمين المغفلين الذين انطلت عليهم لعبة المستعمر الكافر، ليقوم كل منّا بواجبه الديني في إبعاد الحكم الكافر، وفي تحكيم الإسلام في حياتنا.

٢. الإسلام

هو: الدين الذي بعث الله تعالى به نبينا محمدًا ﷺ إلى البشرية كافّة.

ويتألف الإسلام من ركنين أساسيين، هما: العقيدة والنظام.

٣. العقيدة

هي: الإيمان بالله تعالى وبأنبيائه وما أنزله عليهم وبأوصيائهم وباليوم الآخر. وتسمى «أصول الدين».

٤. النظام

هو: التشريع الإلهي الذي وضع لتنظيم الحياة البشرية كافّة. ويسمى «فروع الدين».

العقيدة

تتألف العقيدة الإسلامية من الأصول التالية[١]:

١. التوحيد.

٢. النبوة.

٣. الإمامة.

٤. المعاد.

وتعرف هذه الأصول بـ «أصول الدين».

العقيدة

التوحيد | النبوّة | الإمامة | المعاد

(١) عدلتُ عن التقسيم الخماسي المعروف لأصول الدين، الذي يتضمّن (العدل) بالإضافة إلى الأصول الأربعة المذكورة، لأن منهجة البحث تفرض أن يدرج العدل ضمن (التوحيد)، لأنه صفة من صفات الله تعالى، ولأن إفراده من صفات الله تعالى، وعدّه أصلاً مستقلاً، نشأ نتيجة صراع فكري بين طائفتين من المسلمين اختلفتا في مفهومه، وليس في أصل وجوده واتصاف الله تعالى به. راجع: الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في أصل الشيعة وأصولها.

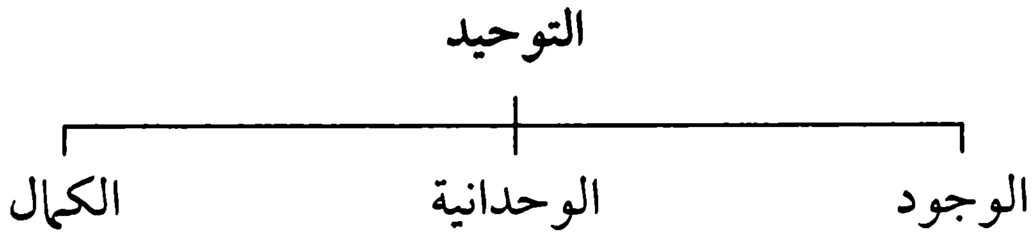
التوحيد

<u>تنقسم عقيدة التوحيد إلى ما يأتي:</u>

١) الإيمان بوجود الله تعالى.

٢) الإيمان بوحدانية الله تعالى.

٣) الإيمان بكمال الله تعالى.



وجود الله

هو: أن نؤمن بأن الله تعالى موجود، ووجوده لم يكن عن عدم، ولن يطرأ عليه عدم.

وأهم الأدلة على وجود الله تعالى هي:

١. الشعور بالسببية

إننا إذا نظرنا إلى بناية المدرسة، وسألنا أنفسنا السؤال التالي:

هل بَنَت المدرسة نفسها بنفسها من دون أن يبنيها أحد؟

إننا نجيب أنفسنا بأنها لم تبنِ نفسها بنفسها، وإنما بنيت من قبل بنائين وعمّال.

لأننا لا نستطيع أن نؤمن ونعتقد بأن المدرسة بنت نفسها بنفسها من دون بنائين وعمّال .. وذلك لشعورنا الفطري بأنها لا يمكن أن توجد بغير موجد ومكوّن لها.

وهكذا إذا نظرنا إلى بقية الموجودات، متدرّجين معها من الصغير إلى الكبير فالأكبر منه، ومفكرين فيه هذا التفكير، حتى نصل في تفكيرنا إلى الكون كله .. فإننا سننتهي حتمًا إلى الإيمان بوجود خالق لهذا الكون وما فيه، وهو الله تعالى.

إدراكنا هذا، بأن لكل موجود خالقًا أوجده هو شعورنا بالسببية.

الخلاصة

الشعور بالسببية: هو إدراكنا بفطرتنا أن لكل موجود خالقًا أوجده.

* ومن الآيات القرآنية التي تثبت وجود الله تعالى عن طريق الشعور بالسببية ما يأتي:

١. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[١].

الشرح

يخاطب الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ، ويقول له: إذا سألت الناس السؤال التالي:

من خلق السماوات والأرض؟

يجيبونك بالجواب التالي: خلقهن الله.

وذلك بدافع من شعورهم بالسببية، لأن السموات والأرض من الموجودات فلا بدَّ من خالق لها أوجدها.

٢. ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[٢].

الشرح

يخاطب الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ ويقول له:

هل خلق الناس من غير خالق؟!

أو أن الناس خلقوا أنفسهم بأنفسهم؟!

---

(١) لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨.

(٢) الطور: ٣٥.

والجواب: إنهم لم يخلقوا من غير خالق .. ولم يخلقوا أنفسهم بأنفسهم .. وإنما خلقهم الله تعالى، وذلك لشعورنا بالسببية، لأن الناس موجودون فلا بدَّ لهم من خالق أوجدهم.

٢. فطرة التديّن

لنتصوّر أنفسنا راكبين في سفينة تسير وسط البحر، وقد هبت رياح شديدة عاصفة، فأثارت الأمواج بصورة هائلة طاغية، جعلتها تتلاعب بالسفينة هبوطًا وارتفاعًا، وتتقاذفها يمينًا وشمالاً وظننا أننا قد أشرفنا على الغرق فالموت.

إننا في مثل هذا المأزق الحرج، وهذا الضيق الشديد، نجد أنفسنا تتعلق بقوّة غيبية عليا، نؤمن بأنها أقوى قوة في الوجود، وبأنها قادرة على أن تخلصنا من هذه الشدّة، التي لا يستطيع أنْ ينقذنا منها أي سبب آخر، كنّا نؤمن بقدرته سابقًا، غير هذه القوّة الغيبية العليا التي لجأنا إليها نطلب منها النجاة.

ففي مثل هذه الحال نشعر بوجود فطرة التديّن عندنا، الفطرة التي تدلنا على وجود قوّة غيبية عليا، هي أقوى وأقدر وأقهر قوة في الوجود ..

وهذه القوّة الغيبية هي (الله) تعالى.

* سئل الإمام الصادق عليه السلام عن (الله) تعالى، فأجاب: «يا عبد الله .. هل ركبت سفينة قط؟

قال: بلى.

قال عليه السلام: فهل كُسِرَتْ بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟

قال: بلى.

قال عليه السلام: فهل تعلق قلبك هناك أن شيئًا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟

قال: بلى.

قال عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجي، وعلى الإغاثة حين لا مغيث».

الخلاصة

فطرة التديّن هي: قوّة نفسية تدفعنا إلى الإيمان بوجود الله وقدرته حينما نقع في شدّة لا يقوى على إنقاذنا منها غير الله تعالى.

* ومن الآيات القرآنية التي تثبت وجود الله تعالى عن طريق فطرة التديّن الآية التالية:

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

الشرح

يخاطب الله تعالى الناس ويقول لهم: إن الله تعالى هو الذي يرعاكم ويحفظكم إذا سرتم في البرّ وفي البحر، ثم يذكر سبحانه مثالاً واحدًا من آلاف الأمثلة التي تمرّ على الإنسان فتشعره بوجود الله تعالى، وهذا المثال الذي يذكره سبحانه هو:

يقول ـ تعالى ـ للناس إذا ركبتم في السفن ومشت بكم في البحر وكانت الرياح هادئة والأمواج ساكنة، وفرحتم بذلك لأن خطر الغرق بعيد عنكم .. وبينما أنتم كذلك إذا برياح عاصفة تثير الأمواج، وقد أحاطت تلك الأمواج بالسفن من كل مكان تتقاذفها وتتلاعب بها، وظن ركاب السفن أنهم أشرفوا

---

(١) يونس: ٢٢.

على الغرق فالموت .. هنالك تتعلق قلوبهم بالله تعالى ويدعونه مخلصين له قائلين: إذا أنجيتنا وخلّصتنا من هذه الشدّة نكون من العابدين المخلصين لك.

إن هذا الاندفاع الفطري للتعلق بالله تعالى والإيمان بقدرته على نجاتنا من الشدائد، هو دليل على وجود الله تعالى، وهو ما سميناه بِـ (فطرة التديّن).

٣. استقامة النظام الكوني

إننا إذا لا حظنا ظاهرة المطر، وكيف تتحوّل مياه البحار والأنهار إلى بخار، ثم كيف تعود مرة ثانية إلى ماء، وسألنا السؤال التالي:

من الذي رفع درجة حرارة الشمس فأعطى حرارتها هذا التأثير في تحويل الماء إلى بخار؟!

ومن الذي خفض درجة حرارة الجو فأعطى برودتها ذلك التأثير في تحويل البخار إلى ماء؟!

لا بدَّ وأن يكون الجواب كالآتي:

إن هناك خالقًا أودعها ذلك التأثير، وهو (الله) تعالى.

وإذا شاهدنا عشًّا لطير من الطيور، وكيف نظّمه ذلك التنظيم الفني الجميل ..

وشاهدنا كيف تذهب الطيور لتحمل الماء من النهر، والطعام من الشجر، فتغذي بها أفراخها، وكيف تحافظ على أفراخها من الحيوانات الأخرى ...

وسألنا السؤال التالي:

من الذي ألهم الطيور هذا الحنان والعطف على أفراخها، وذلك الإدراك في صنع العش منظمًا تنظيمًا فنيًّا جميلاً؟!

إننا نجيب الجواب التالي:

لا بدَّ أن للطيور من ألهمها ذلك الحنان، وزوّدها بهذا الإدراك، وهو (الله) تعالى.

وإذا نظرنا إلى الجمل، كيف يصبر عن الغذاء أيامًا ويعوّض بها اختزنه من الشحم في سنامه ... وسألنا السؤال التالي:

من أين جاء هذا السنام؟!

وكيف زوّد بوظيفة خزن الغذاء لوقت الحاجة؟!

إننا نجيب الجواب التالي:

لا بدَّ للجمل من خالق، عالم بحياته واحتياجاته، خلق له ذلك السنام، وزوّده بتلك الوظيفة .. وذلك الخالق هو (الله).

وإذا نظرنا إلى هذه الكواكب السابحة في الفضاء كالشمس وكالقمر والأرض والمرّيخ ...

وسألنا السؤال التالي:

كيف تستطيع هذه الكواكب مع ضخامة حجمها وثقل وزنها أن تسبح في هذا الفضاء، من دون أن يقع بعضها على بعض أو يصطدم بعضها بالآخر؟!

إننا نجيب الجواب الآتي:

لا بدَّ لها من مدبّر نظمها بشكل متوازن منعها من الوقوع والاصطدام، وذلك المنظّم هو (الله) تعالى.

الخلاصة

استقامة النظام الكوني هو: الإبداع الفني في الكائنات الذي يدل على وجود الله وقدرته التامّة.

* ومن الآيات القرآنية التي تثبت وجود الله تعالى عن طريق استقامة النظام الكوني، ما يأتي:

١ . **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ**

بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

الشرح

يقول الله تعالى: إن في تكوين وإبداع المجموعة الشمسية التي من ضمنها الأرض، بهذا النظام المتقن الرائع الذي يجعلها سابحة في هذا الفضاء الواسع مع ضخامة حجمها وثقل وزنها من دون أن يقع بعضها على بعض أو يصطدم بعضها بالآخر.

وفي تعاقب الليل والنهار هذا التعاقب المنظم الناشئ من حركة الأرض حول نفسها.

وفي جريان السفن في البحر كوسائل لنقل الناس وحمل البضائع.

وفي المطر الذي يحيي الأرض المجدبة فيحولها إلى أرض خصبة صالحة للزراعة والانتفاع بها.

وفي هذه الحيوانات المنتشرة في هذه الأرض، وبهذا التكوين الفنّي العجيب. وفي تقلب الرياح في مهابها المختلفة من الشمال والجنوب والشرق والغرب. وفي السحاب الذي تسوقه الرياح إلى حيث يتحوّل إلى مطر.

في هذا كله، وفي أمثاله، دلائل وعلامات على وجود الله تعالى لمن يعقلون ويفكرون فيها.

٢. ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[2].

---

(١) البقرة: ١٦٤.

(٢) الغاشية: ١٧ ـ ٢٠.

الشرح

يلفت الله تعالى نظر الناس إلى التفكّر في مخلوقاته والتعرّف على عظمته وعظيم قدرته لينتقلوا من ذلك إلى الإيمان بوجوده سبحانه عن طريق توجيه الأسئلة التالية:

أفلا يفكرون في الإبل كيف خلقت، حيث تصبر عن الغذاء أيامًا وتعوض عنه بما تختزنه من الشحوم في سناماتها .. ألا يدل ذلك على أن لها خالقًا عالمًا بحياتها واحتياجاتها خلق لها ذلك السنام وزودها بتلك الوظيفة، وهو الله تعالى.

ب. أفلا يفكرون في السماء كيف رفعت، حيث تسبح هذه المجموعة الشمسية من دون أن تقع أو تتصادم، وذلك بقوّة الجاذبية بين أفلاكها وتحديد مداراتها وحركاتها وسرعاتها.

سئل الإمام الرضا عليه السلام عن معنى الآية التالية: ﴿**اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾[1]، فقال عليه السلام: «ثَمَّ عَمَدٌ ولكن لا ترونها» يشير بذلك إلى الجاذبية والنظام الفلكي الذي جعل هذه الأفلاك سابحة في هذا الفضاء الواسع من دون أن تقع أو تتصادم .. ألا يدل ذلك على أن لها خالقًا أبدع فيها هذا النظام الدقيق وسيرّها على وفقه، وهو الله تعالى.

ج. أفلا يفكرون في الجبال كيف نصبت، حيث قامت على هذه الأرض متماسكة في ضخامتها وثقلها .. ألا يدلّ ذلك على وجود الله تعالى.

د. أفلا يفكرون في الأرض كيف سطحت، حيث جعلت ميسرة لانتفاع البشر منها بالسكنى والتنقّل والزراعة وغيرها .. ألا يدلّ هذا على وجود الله تعالى.

إن جميع هذه وأمثالها هي دلائل واضحة على وجود الله تعالى.

---

(١) الرعد: ٢.

٣. ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[١].

الشرح

تشير هذه الآية الكريمة إلى الإلهام الفطري عند الحيوانات الذي يدفعها إلى المحافظة على حياتها والعطف على أفراخها، حيث أن الله تعالى حينما خلق المخلوقات زوّدها وراثيًّا بما يهديها إلى المحافظة على حياتها واستمرارها.

(١) طه: ٥٠.

وحدانية الله

هي: أن نؤمن بأن الله واحد لا شريك له.

وأهم الأدلة على أن الله واحد لا شريك له هي:

١. وحدة النظام الكوني

إذا لاحظنا تكوين المجموعة الشمسية، ورأينا أن الشمس تقع في المركز من المجموعة، وأن بقية كواكب المجموعة تقع في الأطراف، وتدور حول الشمس بمدارات خاصّة، وأن بين الشمس وكواكب المجموعة فراغًا كبيرًا .. ولاحظنا تكوين (الذرة)، ورأينا أن الذرة تتألف من كهربائية موجبة (بروتونات) تقع في مركز الذرة (النواة)، ومن كهربائية سالبة (إلكترونات) تقع في الأطراف وتدور حول النواة بسرعة (٢٠٠٠ كم) ألفي كيلومتر في الثانية الواحدة، وهي أعظم سرعة عرفت حتى الآن ، وأن بين النواة والإلكترونات فراغًا يحار عنده العقل.

ولاحظنا نسبة مسافة البعد بين نواة الذرة والإلكترونات إلى قطر الذرة، ورأينا أنها تساوي نسبة مسافة البعد بين الشمس والأرض إلى قطر المجموعة الشمسية تقريبًا.

ولاحظنا نسبة وزن نواة الذرة إلى وزن الذرة، ورأينا أنها تساوي نسبة وزن الشمس إلى وزن المجموعة الشمسية إذ أن كلاً من وزني الذرة والشمس يساوي ٩٩.٩ ٪ من وزن مجموعتها. نجد أن كل ذرة من حيث التكوين والمسافة والوزن تشبه المجموعة الشمسية مع حفظ النسبة.

إن هذا التشابه بين أصغر الكائنات وأكبرها يدلنا بوضوح على أن خالق هذه الكائنات واحد، وذلك لأنه لو كان لله شريك لوقع الاختلاف بينهما في كيفية الخلق وتنظيمه، ولشاهدنا ذلك الاختلاف في نفس المخلوقات.

الخلاصة

وحدة النظام الكوني هي: ما نلاحظه في الكائنات من تشابه أنظمتها بما يدلنا على أن الخالق واحد.

* ومن الآيات القرآنية التي تدل على أن الله واحد عن طريق وحدة النظام الكوني ما يأتي:

١. ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾[١].

الشرح

إنك لا تجد في مخلوقات الله تعالى أي اختلال في النظام الكوني، ولك أن تتأكد من ذلك بأن تكرر النظر والملاحظة، فإنك سوف لا تجد أي اختلال، وذلك لأن خالق الكون واحد، وهو (الله) تعالى.

٢. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[٢].

---

(١) الملك: ٣.

(٢) الأنبياء: ٢٢.

الشرح

لو كان في السماء والأرض خالقون متعددون غير الله لوقع الاختلال في نظام الكائنات الموجودة في السماء والأرض ولم يستقيما.

ومن استقامة السماء والأرض نستدل على أن خالقهما واحد وهو (الله) تعالى.

٢. وحدة الآثار

حينما يكون في المدرسة مديران، لا بدَّ وأن يعرف الطلاّب خضوع إدارة المدرسة لمديرين. وذلك عن طريق ما يقع بين المديرين من اختلاف حول تنظيم المدرسة وإدارة شؤونها، فيدرك الطلاّب ـ مثلاً ـ أن اتخاذ هذه الغرفة صفًّا لطلاّب السنة الأولى كان من رأي أحد المديرين، واتخاذ تلك الغرفة إدارة كان من رأي المدير الآخر .. وهكذا.

وكذلك حينما يكون في البلدة عدّة إداريين، فإنهم يعرفون من أعمالهم ومشاريعهم الخاصّة التي تنسب إلى كل من واحد منهم، فمثلاً: يعرف أن مشروع بناية المستشفى كان بأمر أحد الإداريين، ومشروع تبليط الطريق العامّ كان بأمر إداري آخر، ومشروع إنارة البلدة كان بأمر إداري ثالث .. وهكذا.

أما إذا كانت المدرسة يديرها مدير واحد، فإننا لا نشاهد فيها غير أعماله في تنظيمها وإدارة شؤونها .. وهكذا إذا كانت البلدة تدار من قبل إداري واحد، فإن جميع المشاريع في البلدة تنسب إليه.

ومثله لو فكرنا في هذا الكون الكبير، فإننا حينما لا نشاهد فيه مخلوقات وآثارًا تنسب لغير الله تعالى، ندرك أن الله واحد لا شريك له، لأنه لوكان له شريك لعرفنا ذلك الشريك عن طريق مخلوقات خاصّة تنسب إليه، وآثار معينة تدل عليه .. وحيث لم يكن في الكون من المخلوقات ما ينسب إلى غير الله ولم يكن فيه من الآثار ما يدل على غير الله، ندرك أن الله واحد لا شريك له.

* يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «واعلم يا بني: .. إنه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد، كما وصف نفسه، لا يضادّه في ملكه أحد».

الخلاصة

وحدة الآثار هي: دلالة الكائنات الموجودة على أنها من خالق ومؤثر واحد، وهو (الله) تعالى.

* ومن الآيات القرآنية التي تدل على أن الله واحد عن طريق وحدة آثاره الآية التالية:

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].

الشرح

ليس عند الله ولد، ولم يكن معه إله آخر شريك له .. ولو كان معه إله آخر شريك له لشاهدنا مخلوقات ذلك الإله الشريك ولحاول أن يتغلّب أحدهما على الآخر .. تنزّه الله عن أن يكون له شريك.

---

(١) المؤمنون: ٩١.

كمال الله

هو أن نؤمن بأن الله تعالى متّصف بجميع صفات الكمال.

والدليل على ذلك:

هو وجود هذه الصفات في مخلوقاته تعالى .. وذلك أنه لو كانت هذه الصفات غير موجودة في الله تعالى، لا يستطيع أن يوجدها في مخلوقاته.

فمثلاً: لو كان الله ميتًا لا يستطيع أن يوجد الحياة في الإنسان لأنه لا يملك الحياة لنفسه حتى يوجدها في غيره.

فمن وجود الحياة في مخلوقات الله تعالى ندرك أنه حي ..

وهكذا بقية الصفات.

* من صفات الله تعالى:

١. حي: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[١].

٢. عالم: ﴿وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٢].

٣. قادر: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

٤. عادل: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٤].

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) الطلاق: ١٢.

(٣) البقرة: ٢٠.

(٤) النساء: ٤٠.

٥. غني: ﴿إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[١].

٦. لطيف: ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾[٢].

---

(١) العنكبوت: ٦.

(٢) الشورى: ١٩.

سورة التوحيد

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

المفردات

الكلمة	معناها
أحد	المتفرّد الذي لا مثيل له.
الصمد	المتفرّد الذي يقصد في قضاء الحاجات وحل المشاكل.
الكفؤ	المساوي، المماثل.

الشرح

اشتملت هذه السورة الكريمة على بيان مقوّمات عقيدة التوحيد، وهي:

١. التفرّد في الألوهية، ودلّت عليه آية: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾.

ومعناها: إن الله هو الإله وحده.

٢. التفرّد في الغنى المطلق، ودلّت عليه آية: ﴿**اللهُ الصَّمَدُ**﴾.

ومعناها أن الله غني عن غيره، وغيره محتاج إليه.

٣. التفرّد في الوجود المطلق، ودلّت عليه آية: ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾.

ومعناها أن الله تعالى لا أولاد له ولا آباء.

٤ . التفرّد في الكمال المطلق، ودلّت عليه آية ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.
ومعناها أن الله تعالى ليس له مماثل أو مساوي.

❁ ❁ ❁

من سورة لقمان

للحفظ

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ١٣ ـ ١٦).

المفردات

الكلمة	معناها
وصينا الإنسان	أمرناه
وهنًا	ضعفًا
فصاله	فطامه
أناب إلي	رجع إلي بالطاعة
مثقال حبة	مقدار أصغر شيء

النبوة

مصطلحات

١. النبوّة

هي: وساطة بين الله تعالى والناس من أجل هدايتهم إلى الحق.

٢. النبي

هو: الوسيط الذي يقوم بمهمة تلقي الرسالة من الله تعالى، وبمسؤولية تبليغها إلى الناس.

٣. مؤهلات النبي للنبوة

هي: أن يكون إنسانًا كاملاً.

٤. دليل تصديق نبوة النبي

هو: إتيانه بالمعجزة.

٥. المعجزة

هي: كل ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

٦. مسؤولية النبي

هي: تلقِّي الدين من الله تعالى عن طريق الوحي ثم تبليغه إلى الناس، والقيام بتطبيقه وتنفيذه.

ضرورة بعثة الأنبياء

حينما نفهم أن الدين هو رسالة الله تعالى في الحياة البشرية، بعث بها أنبياءه ليرشد الناس إلى معرفة العقيدة المستقيمة (عقيدة التوحيد)، التي لا انحراف فيها إلى الإلحاد أو إلى الشرك. وليدفعهم إلى الإيمان بها إيمانًا خالصًا وعميقًا، يحول العقيدة في حياتهم إلى حيوية خيّرة، تحركهم دائمًا وأبدًا نحو الخير والسعادة.

وليعطيهم النظام المستقيم، لينظموا على هديه جميع علاقاتهم في الحياة: فردية وجماعية، فكرية وعملية .. وفي مختلف مجالاتهم: ثقافية وتربوية وعسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية وما إليها .. لدى الفرد وفي الأسرة والمجتمع والدولة.

إننا حينما نفهم أن الدين هو الرسالة الإلهية التي بعث الله بها أنبياءه لهذه الغاية .. ندرك بوضوح ضرورة بعثة الأنبياء. وذلك لحاجتنا الضرورية لمعرفة العقيدة المستقيمة، والسير على هدي النظام المستقيم، لنعيش في هذه الحياة في خير وسعادة وسلام، وفي الحياة الآخرة في نعيم وخلود.

وقد أثبتت التجارب التاريخية المختلفة والمتكررة في تطبيق الأنظمة الوضعية التي مرّت بها البشرية عجز الإنسان وقصوره عن أن يضع النظام المستقيم، الذي يوفّر له السعادة، ويعطيه الخير والسلام.

فإذن لا بدَّ من النظام الإلهي .. لا بدَّ من الدين.

* سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام السؤال التالي:

من أين أثبت الأنبياء والرسل؟

فأجابه الإمام عليه السلام بالجواب التالي:

«إنا لمّا أثبتنا أن لنا خالقًا صانعًا متعاليًا عنّا، وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيمًا متعاليًا، لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشرونه، ويحاجّهم ويحاجّونه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبرون عنه ـ عزّ وجلّ ـ وهم الأنبياء».

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه خطّ خطًّا، وقال: هذا سبيل الله .. وخطّ عن يمينه خطوطًا، وعن شماله خطوطًا، وقال: هذه سبل، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[١].

وعلى ضوء هذا الحديث الشريف:

ليس أمام الإنسان إلا أن يأخذ بالإسلام ويترك ما سواه من عقائد وأنظمة، أو يأخذ بما عدا الإسلام من العقائد والأنظمة، فيكون قد ترك الإسلام.

أما من يؤمن بالإسلام عقيدة ونظامًا ويأخذ بغيره من العقائد والأنظمة، فليس بمسلم واقعًا، لأن عمله هذا يتنافى وإيمانه بالإسلام.

فالمسلم الذي يؤمن بالإسلام لا يؤمن بغيره .. ولن يؤمن بغير الإسلام ما دام مؤمنًا بالإسلام.

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

نبينا محمد ﷺ

نسبه

هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، من عدنان، القبيلة العربية الشهيرة، والتي ينتهي نسبها إلى النبي إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

أمه

أمه: آمنة بنت وهب من بني عدي بن النجار، من قريش.

ولادته

ولد بمكة المكرّمة يوم (١٢) أو (١٧) من شهر ربيع الأول عام الفيل.

رضاعه

ارتضع عند (حليمة بنت الحارث السعدية) في البادية، جريًا على عادة أشراف مكّة حيث كانوا يبعثون بأطفالهم إلى البادية يقضون فيها مدّة الرضاع في حضانة المراضع من نساء البدو، لاعتقادهم بأن مناخ البادية وجوّها أصح وأنقى وأحسن في نمو الطفل من جوّ المدن ومناخها.

نشأته

نشأ النبي ﷺ في ابتداء طفولته في ظل أمه آمنة، وجده عبد المطّلب، لأن أباه عبد الله توفي والنبي ﷺ جنين في بطن أمه.

ولما بلغ السادسة من عمره الشريف توفيت أمه في قرية (الأبواء) بين يثرب ومكّة، عند عودتها من زيارة أخوال النبي ﷺ في يثرب، وكان النبي ﷺ معها، وكانت معهما حاضنته (أم أيمن).

وحينما بلغ الثامنة من عمره الشريف توفي جدّه عبد المطّلب فكفله عمّه أبو طالب عليه السلام بوصية من جدّه عبد المطّلب.

سفره إلى الشام

وفي الثامنة عشرة من عمره الشريف سافر مع عمّه أبي طالب عليه السلام إلى الشام للتجارة.

رعي الغنم

وكان النبي ﷺ في صباه يرعى الغنم معاونة لعمّه أبي طالب عليه السلام لأنه كان فقيرًا.

حضور حلف الفضول

ولما بلغ العشرين من عمره حضر (حلف الفضول)، وهو مؤتمر تعاقدت فيه قريش على نصرة المظلوم.

زواجه

وفي الخامسة والعشرين من عمره الشريف تزوّج (خديجة بنت خويلد)، بعد أن كانت قد استأجرته في تجارتها. التي تعادل في سعتها تجارة قريش بأجمعها، وكانت خديجة عليها السلام امرأة مثلى في جمالها وشرفها وعفّتها وطهارة نفسها .. وكبيرة في وفرة مالها وثرائها.

مشاركته في بناء الكعبة

وفي الخامسة والثلاثين من عمره الشريف: شارك في بناء الكعبة حينما هدمها السيل، فوضع الحجر الأسود بيده الكريمة في موضعه حيث يُعَدُّ منسكًا من مناسك الحج.

بعثته

ولمّا بلغ الأربعين من عمره الشريف بُعث برسالة (الإسلام) إلى الناس كافّة.

معجزته

وكانت معجزة نبوته الخالدة هي (القرآن)، حيث عجز جميع البلغاء عن مجاراته والإتيان بمثله.

الـمسؤولية العامّة

للدرس والحفظ

قال النبي ﷺ:

«كلكم راعٍ وكلم مسؤول عن رعيته .. فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته .. فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته».

المفردات

الكلمة	معناها
الراعي	كل من تولّى وظيفة القيام بعمل (المسؤول).
الرعية	كل شيء أو كل أمر رعايته إلى غيره.
الإمام	رئيس الدولة.
الرجل	رب العائلة.
المرأة	ربة البيت.

من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١. الدال على الخير كفاعله، والدال على الشر كفاعله.
٢. قل الحق ولو كان مرًّا، لا تخف في الله لومة لائم.
٣. من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته.
٤. لا ينال شفاعتي من استخفّ بصلاته.
٥. ليس منّا من دعا إلى عصبية.

❁ ❁ ❁

الدعوة الإسلامية

بدء الدعوة

بدأت الدعوة الإسلامية بنزول الوحي على النبي ﷺ بالقرآن الكريم، وذلك عندما كان يتعبّد ﷺ في (غار حراء) في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك سنة (٦١٠ م).

وكان أول ما نزل به الوحي من القرآن الكريم، الآيات التالية:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١].

تهيأة قوى الدعوة

غادر النبي ﷺ غار حراء بعد نزول الوحي عليه، وذهب يتهيأ للقيام بمسؤولية تبليغ الإسلام إلى الناس.

فكان أول عمل قام به هو تهيأة قوى الدعوة، وهي:

---

(١) من سورة العلق.

١. القوّة الفكرية

وهي أن يكون لدى الدعوة دعاة يحملون ثقافتها عن وعي ويبشرون بها عن إخلاص.

٢. القوة المالية

وهي أن يكون لدى الدعوة رصيد مالي تعتمد عليه في أداء واجباتها.

٣. القوة الاجتماعية

وهي أن يكون لدى الدعوة من يسندها من الشخصيات الاجتماعية ذات المكانة العالية في المجتمع.

فدعا النبي ﷺ زوجته خديجة عليها السلام فأسلمت، فكانت أول مسلمة، وكانت أموالها الطائلة هي القوّة المالية للدعوة.

ودعا ابن عمّه عليًّا عليه السلام فكان أول مسلم، وكان هو القوّة الفكرية، حيث غذاه النبي ﷺ خلال فترة من الزمن بثقافة الدعوة ليقوم بدور المفكّر الأعلى للدعوة.

ثم دعا عمّه أبا طالب عليه السلام، فكان ثالث المسلمين، وكان هو القوّة الاجتماعية، لما كان يتمتّع به من مكانة اجتماعية مرموقة ومكانة دينية عالية عند قريش حيث كان من أهم رؤسائهم، ومن أهم سدنة الكعبة الشرفة.

انتشار الدعوة

بعد أن هيأ النبي ﷺ قوى الدعوة الثلاث الفكرية والمالية والاجتماعية، ذهب ينشر الدعوة بين الناس سرًّا لئلاً يقضي أعداء الدعوة عليها.

واستمرت سرية الدعوة حتّى سنة ٦١٣ م، دخلها أثناء هذه الفترة الممتدة إلى ثلاث سنوات أربعون شخصًا رجالاً ونساءً.

وكان الدعاة المسلمون يتّخذون من الشعاب والأودية والأماكن البعيدة عن أنظار الناس مواضع لاجتماعاتهم السرّية، يقيمون فيها الصلاة، ويتلقّون ثقافة الدعوة، ويتعرّفون على أساليب العمل، حتّى عثر عليهم من قبل المشركين، فانتقلوا إلى دار (الأرقم بن أبي الأرقم)، متّخذين منها الملتقى السري لهم.

وفي سنة (٦١٣ م) انتهت المرحلة السرية للدعوة، وابتدأت مرحلتها العلنية.

إنذار عشيرة النبي ﷺ

وبدأت المرحلة العلنية بإنذار (بني هاشم) عشيرة النبي ﷺ حيث أمر الله تعالى النبي ﷺ بأن يدعو عشيرته إلى الإسلام بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

فجمع النبي ﷺ عشيرته ـ وكانوا أربعين رجلاً ـ مرتين، ودعاهم إلى الإسلام، فأسلموا عدا عمّه أبي لهب، فقد وقف موقف المعارضة، واستمرّ في معارضته.

دعوة الناس كافة

ثم أمر الله النبي ﷺ بأن يدعو الناس كافّة إلى الإسلام بقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

فدعا النبي ﷺ الناس جميعًا إلى الإسلام، فذهب خبر الدعوة ينتشر في بلاد العرب وخارجها، فأخذ الإسلام يشيع، وعدد المسلمين يزداد، فخافت

---

(١) الشعراء: ١١٤ ـ ١١٦.

(٢) الحجر: ٩٤

قريش أن تقضي الدعوة على مكانتهم الاجتماعية وعلى سيادتهم، فرأوا أن يقفوا دون انتشارها.

المفاوضة

وكان من رأي قريش أن يتبعوا الأساليب السلمية أولاً، فكان أول أسلوب اتبعوه هو (المفاوضة) مع النبي ﷺ حول ترك الدعوة إلى الإسلام.

وكانت المفاوضة مرتين عن طريق أبي طالب عليه السلام، وثالثة مع النبي ﷺ مباشرة.

وقد تضمنت هذه المفاوضات الثلاث استعداد قريش بأن تدفع للنبي ﷺ كل ما يريد ليترك دعوته، إلا أن النبي ﷺ لم يجب قريشًا إلى ذلك، بل أكد استمراره في الدعوة بكلمته المعروفة «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتّى يظهره الله أو أهلك دونه».

التعذيب

وحينما فشلت قريش في مفاوضاتها مع النبي ﷺ، رأت أن تتبع الأساليب الإرهابية، لصد النبي ﷺ عن الدعوة.

وكان أول أسلوب إرهابي اتبعته هو (التعذيب)، فقد كان أكابر قريش وأسيادهم يخرجون مواليهم وحلفاءهم من غير العرب ـ أمثال: آل ياسر وبلال وصهيب وخباب ـ إلى المواضع العامّة لاجتماع الناس في وقت الظهيرة الهاجرة، وينزلون بهم أشد انواع التعذيب، وأعنف أنواع التنكيل الوحشي، ليرتد هؤلاء عن دين محمد وليخاف الآخرون ممن يشاهدون التعذيب أو يسمعون به، فيقفون عن الدعوة، ويرتدون عن الإسلام.

الهجرة إلى الحبشة

ولما رأى النبي ﷺ أن ذلك الإرهاب كاد أن يشل من حركة الدعوة الإسلامية، وأن يضعف من قوى الدعاة المسلمين أمر عددًا من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، بعد أن هيأ لهم المجال وزوّدهم بما يحتاجون من تعاليم وغيرها.

وقد حاولت قريش أن يُسَلِّم النجاشي (ملك الحبشة) المسلمين المهاجرين إليهم، لينتقموا منهم، ولكن باءت محاولتهم بالفشل.

بقي المسلمون في الحبشة أحد عشر عامًا، ابتداءً من سنة (٦١٥ م) حتى هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنوّرة، وإقامته الدولة الإسلامية فيها. فالتحقوا به.

التشكيك

وحينما رأت قريش فشل المفاوضة، وعدم فائدة الإرهاب وخيبتها مع النجاشي. وفهمت صدق الدعوة الإسلامية، وسمو أهدافها وشهدت إقبال الناس عليها تأزم موقفها تأزمًا شديدًا. فقررت أن تتبع أسلوب (التشكيك).

فأثارت الشكوك حول ما يأتي:

١. حول زعامة النبي ﷺ: بأنه صغير السن وبأنه قليل المال.
٢. حول نبوته: بأنه ليس من الملائكة وليس من السماء.
٣. حول قرآنه: بأنه شعر أو ما يشبه الشعر.
٤. حول شخصيته: بأنه ساحر وأنه مجنون.

وأمثال هذه الشكوك.

غير أن قريشًا فشلت في كل أساليبها التشكيكية هذه. لأن واقع الإسلام في صفائه ونقائه وصراحته يتحدّى كل ما تقول ويبطل كل ما تدّعي.

المقاطعة

ورأت قريش ـ حيث لم تنجح في مختلف أساليبها التي اتبعتها في صد الدعوة ـ أن تتبع أعنف الأساليب وأقساها وهو (المقاطعة).

فعقدت مؤتمرًا لدراسة موقفها من دعوة النبي ﷺ وكانت النتيجة أن قررت المقاطعة وكتبت فيها (صحيفة) ضمنتها بنود المقاطعة، وهي:

١) أن لا تتزوج قريش من بني هاشم ولا تزوجهم.

٢) أن لا تبيعهم شيئًا ولا تشتري منهم شيئًا.

وعلقت الصحيفة داخل الكعبة.

وحين علم بنو هاشم بقرار المقاطعة دخلوا (الشعب)(١) مع أبي طالب عليه السلام محاصرين فيه لا يتصلون بأحد ولا يتّصل بهم ولا يصل إليهم شيء من الطعام أو الماء بسبب رقابة قريش التي ضيقت المجال أمامهم في شراء السلع من أي سوق وذلك أنها التزمت بأن يشتري القرشي السلعة بأغلى ثمن لئلاَّ يشتريها الهاشمي حتّى بلغت الحالة أن يقتات بنو هاشم بورق الشجر.

واستمرت هذه المقاطعة ثلاث سنين ابتداء من سنة (٦١٧ م) حوصر خلالها بنو هاشم أشد الحصار وضيق عليهم الخناق من قبل قريش أعنف التضييق.

وانتهت المقاطعة سنة (٦٢٠ م) بعد أن أكلت الأرضة من الصحيفة كل كلمة لم تكن ذكرًا لله وأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ يخبره بذلك وأخبر النبي ﷺ عمّه أبا طالب عليه السلام وخرج هو وجماعة من بني هاشم إلى المسجد الحرام وحدَّث أبو طالب عليه السلام قريشًا بإخبار النبي إياه عن أمر الصحيفة طالبًا منهم إن كان الخبر كما قال النبي ﷺ يرفع الحصار وتبطل المقاطعة وإن كان ليس كما أخبر يُسَلِّم النبي ﷺ إليهم.

---

(١) الشعب: شقّ في الجبل يشبه المخبأ.

ونظروا إلى الصحيفة فكانت كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله فقال آبو طالب عليه السلام: «علامَ نُحْبَس ونحصر وقد بان الأمر؟»

ثم عادوا إلى الشعب.

واختلفت قريش فيما بينها حول إبطال المقاطعة، ثم انتهى أمرهم إلى إبطالها.

وخرج بنو هاشم من الشعب أكثر اندفاعًا وعزيمة في سبيل الدعوة.

وكان المسلمون ـ غير الهاشميين ـ مدة المقاطعة يواصلون العمل من أجل الدعوة فكانوا يتّصلون بالناس في فترات مواسم الحج وغيرها يدعونهم إلى الإسلام.

وبعد أن انتهت المقاطعة سنة (٦٢٠ م) توفي حامي الدعوة وكافل النبي وسند المسلمين (أبو طالب عليه السلام).

وتوفيت في نفس العام أيضًا (خديجة عليها السلام) بعد أن أنفقت كل أموالها في سبيل الإسلام.

واغتمَّ النبي صلى الله عليه وآله لوفاتها وحزن حزنًا شديدًا وسُمِّيَ ذلك العام (عام الحزن).

واغتنمت قريش موت أبي طالب عليه السلام فرصة مواتية لمقاومة الدعوة وإيذاء النبي صلى الله عليه وآله فحشدت كل ما تملّك من قواها وأعملتها في الاعتداء عليه وعلى المسلمين.

ورأى النبي صلى الله عليه وآله أن قريشًا لا تترك معارضته وأن الدعوة لا سبيل لها لأن تنهض في مكّة فتجعل منها قاعدة مركزية تنطلق منها إلى البلاد الأخرى.

ورأى أن الدعوة في غير مكّة أيسر في النهوض، وفي التمركز فصمم على الخروج إلى (الطائف)، لأنها أقرب إلى مكّة.

إلى الطائف

غادر النبي ﷺ مكة إلى الطائف، ومكث فيها عشرة أيام اتصل خلالها بمختلف طبقاتها وأفرادها، يدعوهم إلى الإسلام، فلم يرَ منهم غير الرفض والاستهزاء والسخرية.

فصمم ﷺ على الرجوع إلى مكة.

ولكن مغادرته الطائف، كانت مأساة مؤلمة، فقد ملأ الطائفيون الشوارع والطرقات، وسدوا المنافذ والمسارب، يحشدون أكوام الحجارة، يرمونه بها من كل جانب وصوب، حتى أدميت رجلاه الشريفتان، وضعفت قواه، وراح يحمل نفسه ثقيلاً وبطيئًا مما كان أسوأ الأثر عنده نفسيًّا وجسميًّا، حتى التجأ إلى حائط بستان لِـ (عتبة وشيبة ابني ربيعة)، واستند عليه تحت ظل كرمة(١) ليستريح قليلاً، ولعله يأمن أذى الطائفيين فيسترجع قواه، ليواصل مسيره إلى مكة، فرق له صاحبا البستان، فردا عنه الناس، ثم أرسلا خادمهما إليه بقليل من العنب، وحين مثل الخادم بين يدي النبي ﷺ تناول العنب ليأكله قائلا: «بسم الله» مما أثار استغراب الخادم، حيث لم يألف عند غيره هذه التسمية عند البدء بالأكل، وبدت على وجهه علامات الاستغراب، فسأله النبي ﷺ عن عقيدته وبلدته؟

فأجابه: أنه نصراني من نينوى.

فقال النبي ﷺ: من بلدة أخي يونس بن متى عليه السلام.

وهنا استغرب الخادم أيضًا، من معرفة النبي ﷺ ليونس وذلك لما بينهما من الاختلاف في الزمن والبلاد وغيرهما.

---

(١) الكرمة: شجرة العنب.

واستغرب أكثر أن يكون أخًا ليونس، فسأله عن ذلك؟

فأجابه النبي ﷺ: إن يونس كان نبيًا وأنا نبي.

وخاطب النبي ﷺ ـ بعد هذه المحاورة ـ الخادم بالدعوة إلى الإسلام، فأسلم.

وترك النبي ﷺ المكان يجدّ المسير إلى مكّة.

الهجرة إلى المدينة

كان النبي ﷺ في كل موسم من مواسم الحج، وأسواق العرب، أمثال: عكاظ وذي المجاز، يتّصل بالقبائل التي تفد إلى البيت الحرام، وترد الأسواق، يدعوها إلى الإسلام.

وكانت قريش تتابعه، تفسد عليه أمره، وتمنع القبائل من تلبية دعوته.

وكانت القبائل بحكم ظروفها ترهب قريشًا وتهابها، مما يدعوها إلى عدم إجابة النبي ﷺ إلى دعوته.

فلم يسلم من القبائل ـ أول الأمر ـ إلا القبائل التالية:

١) قبيلة (دوس) فقد أسلم رئيسها (الطفيل بن عمرو) وقسم منها تبعًا له، بلغوا نحو (ثمانين) بيتًا. والتحقوا بالمسلمين بعد ذلك في المدينة المنورة، بعد قيام الدولة الإسلامية.

٢) قبيلتا (الخزرج) و(الأوس) . وبإسلامهما كانت الهجرة إلى المدينة المنورة، بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية.

وهناك في المدينة كوّن النبي ﷺ المجتمع الإسلامي، وأقام الدولة الإسلامية[١].

---

(١) للاستزادة: يراجع المؤلف، من البعثة إلى الدولة، ٢ ـ مختارات إسلامية.

من سورة محمد

للحفظ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: ٧ ـ ١١)

المفردات

الكلمة	معناها
فتعسًا لهم	فهلاكًا لهم.
فأحبط أعمالهم	فأبطلها.
دمر الله عليهم	أطبق الهلاك عليهم.
مولى	ناصر.

الـقـرآن

تعريفه

القرآن هو: الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد ﷺ هداية للناس، ومعجزة خالدة لنبوته ﷺ.

مصدره

هو الله تعالى.

الأدلة على إلهيته

* ومن الأدلة على أنه من الله تعالى ما يلي:

١. استقامة معاني القرآن، وعدم وجود أي تناقض أو اختلاف فيها، وقد أرشد الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾[(١)].

٢. إعجاز القرآن في بلاغته وأسلوبه الأدبي، لأنه لو كان من البشر لما عجز عن الإتيان بمثله بلغاء العرب حينما تحداهم بقوله: ﴿**قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ**

---

(١) النساء: ٨٢.

﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾[١]، وبقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[٢].

٣. اعتراف النبي ﷺ بأن القرآن من الله تعالى.

وظيفة النبي تجاه القرآن

تتلخص وظيفة النبي ﷺ تجاه القرآن بما يلي:

١. الوعي والحفظ

ويراد بهما تدبّر القرآن وجمعه واستظهاره.

٢. الحكاية والتبليغ

ويراد بهما إيصال القرآن إلى الناس كما أنزل ألفاظًا ومعاني وأسلوبًا.

٣. البيان والتفسير

ويراد بهما إظهار معاني القرآن وكشف غوامضها.

٤. التطبيق والتنفيذ

ويراد بهما تطبيق أحكام القرآن وتعاليمه على نفسه وعلى الناس.

نزوله

نزل القرآن من الله تعالى بوساطة جبرائيل عليه السلام على نبينا محمد ﷺ في عهدين، هما:

---

(١) هود: ١٣.

(٢) البقرة: ٢٣.

١. عهد الجهاد وبدء الدعوة

وكانت آياته تتميز بقصرها وإيجازها، وكانت تدور حول العقيدة الإسلامية، وبخاصة فكرة (المبدأ والمعاد).

وكانت تعرض إلى جانب هذا أيضًا: أخبار الأمم القديمة، وقصص الأنبياء السابقين.

ويسمى هذا النوع من السور بِـ (السور المكية) نسبة إلى مكة المكرّمة لأنها نزلت فيها.

٢. عهد النصر وقيام الدولة الإسلامية

وكانت سوره تتميز بطولها وتفصيلها.

وكانت توضح أصول وأسس النظام الإسلامي.

أسلوبه

وكان القرآن الكريم في طريقة تعبيره وأداء معانيه في أعلى درجات الأسلوب العربي البليغ.

وكان أسلوبه في السور المكية سجْعًا، وفي السور المدنية قليل السجع.

وكان أسلوبه ـ ولن يزال مرجعًا ـ أول في معرفة الأسلوب العربي الأبلغ، ومرجعًا أول في معرفة اللغة العربية الفصحى.

وللقرآن الكريم الفضل الأكبر على اللغة العربية حيث حفظها من التلف والضياع.

ومنه أخذت ولأجله وضعت قواعد اللغة العربية: نحوًا، وصرفًا وبلاغة، وسائر علومها.

وحول ثقافة القرآن وضعت مناهج وكتب الدراسات الإسلامية ولأجل معرفة ثقافته أسست المدارس الإسلامية، وخاصة القديمة منها التي تتميز

بطابعها الديني، أمثال: النجف الأشرف في العراق، والأزهر الشريف في القاهرة، وقم في إيران، والزيتونة في تونس، والقرويين في المغرب.

تاريخه

نزل القرآن أقسامًا في ثلاث وعشرين سنة حسبما يتطلبه سير وتطورات الدعوة الإسلامية.

وكانت بداية نزوله عام (٦١٠ م) في غار حراء بمكة المكرّمة.

ونهاية نزوله قبيل وفاة النبي ﷺ.

وكان القرآن الكريم قد جمع في زمن النبي ﷺ وبأمر منه.

والقرآن مجزأ إلى ثلاثين جزءًا ومشتمل على (١١٤) سورة وعلى (٦٣٤٢) آية.

سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

المفردات

الكلمة	معناها
رب العالمين	مربيهم ومالكهم ومدبر أمورهم.
يوم الدين	يوم الجزاء (يوم القيامة).
الصراط المستقيم	الطريق الذي لا اعوجاج فيه (الطريق الحق).

الشرح

اشتملت هذه السورة الكريمة على أربعة مفاهيم، هي مقومات الإيمان بالله تعالى،وأسس العقيدة الإسلامية، وهي ما يلي:

١. الإقرار بالربوبية المطلقة لله تعالى

وهي عقيدة التوحيد. وتضمنته آية: ﴿الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٢. الإقرار بالرحمة المطلقة لله تعالى

التي تعني: أن العلاقة بين الخالق والمخلوقات هي علاقة ربوبية رحيمة. وتضمنته آية ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

٣. الإقرار بالجزاء في الآخرة

وهي عقيدة المعاد. وهو إقرار ينطوي على الإيمان بالمالكية المطلقة لله تعالى. وتضمنته آية: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

٤. الإقرار بالعبودية المطلقة لله وحده

والإقرار بالاستعانة به وحده تعالى أيضًا. وتضمنتها آية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

واشتملت هذه السورة الكريمة على (التطبيق العملي) وهو الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم (الإسلام) والاستمرار عليه.

سورة العصر

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

المفردات

الكلمة	معناها
العصر	الزمن، الزمن الخاص الذي يقع بعد الظهر.
تواصوا	أوصى بعضهم بعضًا.

الشرح

اشتملت هذه السورة الشريفة على عناصر شخصية الفرد المسلم، ومقومات كيان المجتمع الإسلامي. وهي:

١. الإيمان (العقيدة الإسلامية)

وتضمنته عبارة ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

٢. العمل الصالح (تطبيق النظام الإسلامي)

فرديًا واجتماعيًا. وتضمنته عبارة: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

٣. التواصي بالحق (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

وتضمنته عبارة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾.

٤. التواصي بالصبر (الاستمرار على تأدية الواجب الإسلامي)

وتضمنته عبارة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

الإمامة

مصطلحات

١. الإمامة[(١)]

هي: خلافة النبوة.

٢. الإمام

هو: خليفة النبي ﷺ.

٣. مسؤولية الإمام

هي: القيام برئاسة الدولة، ونشر الإسلام وحمايته، ورعاية شؤون المواطنين.

للبحث

يعرِّف الإمام الرضا عليه السلام المصطلحات الثلاثة المتقدّمة بما يلي:

١. «الإمامة: خلافة الله وخلافة رسول الله ﷺ.

---

(١) يعد بعضهم الإمامة أصلاً من أصول المذهب، ونظرًا لاتفاق المسلمين عامّة على أصل الفكرة (وهي وجوب الإمامة في المجتمع الإسلامي) رأيت عدّها ـ من ناحية منهجية ـ في أصول الدين، لأن الاختلاف في الشروط والخصائص لا يخرجها عن كونها أصلاً من أصول الدين ـ فيما أعتقد ـ.

٢. الإمام: أمين الله في خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حريم الله[١].

٣. مسئولية الإمام: يحلل حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله[٢] ويذب عن دين الله[٣] ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة».

---

(١) الذاب عن حريم الله: المدافع عن قدسية الإسلام.

(٢) حدود الله: أحكام الشريعة الإسلامية.

(٣) يذب عن دين الله: يدافع عن الإسلام.

شروط الإمامة

يشترط في الإمام أن يتوفر على الشرطين التاليين:

الشرط الأول: العلم بالشريعة علمًا كاملاً

ومعناه هو: أن يعرف الإمام الشريعة الإسلامية معرفة تفصيلية تامّة، وذلك للأدلة التالية:

١. لأن الإمام مسؤول عن نشر الشريعة الإسلامية بين الناس، ومسؤول عن حمايتها من أن يغيرها الناس، أو يبدلوها أو يحرفوها، أو يستبدلوا بها غيرها من الشرائع الإلهية أو القوانين الوضعية. ومسؤول عن تطبيقها في المجتمع تطبيقًا كاملاً.

ومن الواضح: أن هذه المسؤولية تتطلب أن يكون الإمام عالمًا بالشريعة علمًا كاملاً حتّى يستطيع القيام بها تمامًا.

٢. ولأن الإمام قدوة الناس، يرجعون إليه في معرفة الشريعة الإسلامية، ويقتدون بسيرته في تطبيقها.

ومن الواضح: أن القدوة لا بدَّ وأن يكون عالمًا بالشريعة التي يرجع الناس إليه في معرفتها، ويقتدون بسيرته في تطبيقها ليطمئن الناس ويثقوا في الاقتداء به.

أما إذا كان الإمام غير عالم بالشريعة، أو كان عالمًا بالشريعة علمًا غير كامل لا يطمئن الناس إلى الرجوع إليه في معرفة الشريعة وإلى الاقتداء بسيرته في تطبيقها، لأنه قد يعلم الناس خطأ بغير أحكام الشريعة، وذلك لأنه لا يعلمها علمًا كاملاً، وقد يعمل بغير أحكام الشريعة أيضًا خطأ منه، للسبب نفسه وهو أنه لا يعلم الشريعة علمًا كاملاً.

* ومن الآيات القرآنية التي تفرض أن يكون الإمام عالمًا بالشريعة علمًا كاملاً قوله تعالى:

﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى؟! .. فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟!﴾[1].

يخاطب الله تعالى الناس بأسلوب الاستفهام، فيقول لهم: أيهما أحق أن يقتدى بسيرته ويرجع إليه في معرفة الشريعة: الإمام الذي يهدي إلى الحق (وهو العالم بالشريعة علمًا كاملاً)، أم الإمام الذي لا يهدي إلى الحق، وإنما يحتاج إلى أن يهديه غيره إلى الحق (وهو الذي لا يعرف الشريعة معرفة تامّة)؟!

وإنما وجّه الله تعالى هذا الخطاب إلى الناس بأسلوب الاستفهام لينكر فيه سبحانه على الناس: أن يقتدوا بالإمام الذي لا يعلم الشريعة علمًا كاملاً، وليفرض عليهم أن يقتدوا بالإمام العالم بالشريعة علمًا كاملاً، لأن العالم بالشريعة علمًا كاملاً أعرف بالحق .. ولذا عقب ـ تعالى ـ خطابه الكريم هذا بقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟﴾

كيف تحكمون بأنه يجوز الاقتداء بالإمام الذي لا يعرف الشريعة معرفة تامّة، وأنتم تعلمون بأن مثل هذا الإمام الذي لا يعرف الشريعة معرفة كاملة، لا يطمئن الناس إلى أن يقتدوا به لأنه يخطأ في تعليم الشريعة وتبليغها، وفي تطبيقها وتنفيذها.

---

(١) يونس: ٣٥.

للبحث

* يقول الإمام الرضا عليه السلام في اشتراط توفر الإمام على العلم بالشريعة علمًا كاملاً:

«الإمام: ... تام العلم[١]، كامل الحكم[٢]، مضطلع بالإمامة[٣]، عالم بالسياسة[٤]».

الشرط الثاني: العصمة

ومعناها: التزام بتطبيق الشريعة في سلوكه تطبيقًا كاملاً.

وذلك للأدلة التالية:

١. لأن الإمامة عهد الله تعالى يعهد به إلى من يتوفر على العصمة.

ومعناه: أن الإمامة مسؤولية كبرى لا يحمّلها الله تعالى إلاّ لمن يكون حاصلاً على مؤهلات القيام بها كاملاً.

ونفهم هذا من المحاورة التي جرت بين الله تعالى والنبي إبراهيم عليه السلام والتي ذكرها القرآن في الآية التالية:

﴿قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا.
قَالَ: وَمِن ذُرِّيَّتِي؟
قَالَ: لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٥].

ومعنى الآية الكريمة:

يقول الله تعالى مخاطبًا النبي إبراهيم عليه السلام: إني عينتك إمامًا للناس.

---

(١) تام العلم: عالم بالشريعة علمًا تامًّا.

(٢) كامل الحكم: عارف بمجالات تطبيق أحكام الشريعة معرفة كاملة.

(٣) مضطلع بالإمامة: عارف بشؤون الإمامة معرفة تامّة.

(٤) عالم بالسياسة: عارف بشون إدارة الدولة.

(٥) البقرة: ١٢٤.

فسأله النبي إبراهيم: ومن ذريتي هل تعين أئمة للناس؟

فأجابه الله تعالى: لا تسند الإمامة إلى من يكون ظالمًا.

ومن هذا الجواب الذي أجاب الله تعالى به إبراهيم عليه السلام نفهم لزوم اشتراط العصمة في الإمام.

وذلك لأن الإمامة عهد لله ومسؤولية كبرى من مسؤولياته فلا تسند إلا إلى من يقوم بها تمام القيام، وهو المعصوم، لأن الظالم لا يقوم بمسؤولية الإمامة تمام القيام، لأنه قد لا يطبق أحكام الشريعة على نفسه فيكون ظالمًا لنفسه. وذلك لأن عدم تطبيق أحكام الشريعة على نفسه خيانة لنفسه، والخائن ظالم. وقد لا يطبق أحكام الشريعة على الأمة، ولا يبلغها إليها كاملاً، فيكون ظالمًا للأمة، وذلك لأنه قد خانها في التطبيق أو التبليغ.

٢. ولأن الإمام قدوة الناس يرجعون إليه في معرفة الشريعة ويقتدون بسيرته وسلوكه ـ كما تقدّم ـ فإذا كان غير معصوم أي أنه يخطأ في تبليغ الشريعة وفي تعليمها للناس أو يخالف أحكام الشريعة في سيرته وسلوكه لا يصلح لأن يكون قدوة، ولا يطمئن الناس إلى أن يقتدوا به، ولا يثقون بصحة أقواله وأعماله، ولا بموافقتها لأحكام الشريعة.

الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام

هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن **قصي**.

ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولادته

ولد الإمام علي عليه السلام في الكعبة المشرّفة بعد عام الفيل بثلاثين سنة.

تربيته

تربى الإمام عليه السلام في بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله، تربية أعدّه النبي صلى الله عليه وآله **فيها** لمسؤولية القيام بدعوته الإسلامية، وبحمل رسالته المقدّسة.

إسلامه

أسلم الإمام علي عليه السلام حينما دعاه النبي صلى الله عليه وآله إلى الإسلام عندما عاد صلى الله عليه وآله من «غار حراء» يحمل رسالة الإسلام إلى البشرية كافّة.

وكان الإسلام أول مبدأ يعتنقه الإمام عليه السلام، حيث لم يعتنق قبله أي مبدأ من مبادئ الجاهلية والكفر.

وبعد إسلام الإمام علي عليه السلام ذهب النبي صلى الله عليه وآله يعدّه للقيام بمسؤوليات الدعوة، وخاصّة المسؤولية الفكرية منها، وذلك خلال فترة طويلة من حياة الدعوة في مرحلتها السرّية[١].

إن حياة الإمام علي عليه السلام كانت كلها إسلامًا، حيث بذل جميع إمكانياته وطاقاته في سبيل الدعوة الإسلامية.

فكانت مواقفه عليه السلام في نشر الدعوة تمتدّ مع كل أيام حياته من بدايتها حتى نهايتها.

ومن أشهر مواقفه ما يلي:

١. مبيته على فراش النبي صلى الله عليه وآله فداءً للنبي صلى الله عليه وآله من مؤامرة الاغتيال التي دبّرها المشركون من قريش.
٢. قيادة قافلة الهجرة من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة.
٣. بطولاته في أشهر الغزوات الإسلامية أمثال: بدر وأحد والخندق وحنين وخيبر والفتح.

خلافته

عقيدتنا: أن خلافة الإمام علي عليه السلام كانت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة.

وذلك للأدلة الآتية:

١. للنصوص الصريحة التي كان النبي صلى الله عليه وآله يعينه فيها خليفة من بعده، ويؤكد فيها خلافته.

ومن أشهرها: خطبته صلى الله عليه وآله في «يوم الغدير» عند عودته صلى الله عليه وآله من حجة الوداع.

٢. ولأن الإمام علي عليه السلام كان أكفأ المسلمين للقيام بمسؤولية الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله لتوفر شرطي الإمامة فيه:

---

(١) يراجع: فصل الدعوة الإسلامية ـ تهيأة قوى الدعوة.

فقد كان معصومًا، وذلك للأدلة التالية:

أ. لتكوّن شخصيته منذ البداية إسلامية خالصة كاملة. حيث لم يخضع لغير الله ولم ينحرف عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في سلوكه فقد طبقها كاملاً.

ب. ولشهادة القرآن الكريم له بالعصمة في الآية التالية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1] فإن الإمام علي عليه السلام ثاني أهل البيت عليهم السلام المذكورين في الآية الكريمة.

ج. ولشهادة النبي صلى الله عليه وآله له بالعصمة أيضًا في أمثال الحديث التالي: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتّى يردا علي الحوض».

وكان أعلم المسلمين بالشريعة، وذلك لشهادة النبي صلى الله عليه وآله له بذلك في أمثال أحاديثه التالية:

١. أنا مدينة العلم وعلي بابها.

٢. أقضاكم علي.

إلا أن عوامل تاريخية حالت دون تسلّمه السلطة، فاتجه إلى إدارة الحركة الفكرية والثقافية، وإلى توجيه إدارة شؤون الدولة متى اقتضت المصلحة العامّة، وذلك للمحافظة على وحدة المسلمين، وعدم شقّ صفوفهم، ولتدعيم كيان المبدأ الإسلامي.

وبعد مقتل عثمان بن عفان عام ٣٥ هـ تولّى الإمام عليه السلام سلطة الخلافة.

وكان من أهم الأعمال الإصلاحية التي قام بها ما يلي:

١. عزل ولاة عثمان السابقين ومحاسبتهم، للمخالفات الشرعية التي قاموا بها.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

٢. إلغاء نظام توزيع الأموال الخراجية الذي استحدثه عمر بن الخطاب وأقرّه عثمان، والذي كان يقوم على أساسٍ من عدم المساواة، وإعادته كما كان على عهد النبي ﷺ حيث كان يقوم على أساس المساواة.

٣. استرجاع جميع ما أخذ من الأموال وفق نظام التوزيع المستحدث.

٤. تنقية المفاهيم والأفكار الإسلامية مما دخلها من تغيير بعد النبي ﷺ.

٥. مقاومة الفئات الباغية التي عارضته في تطبيقه النظام الإسلامي في معارك البصرة وصفّين والنهروان.

وفاته

توفي الإمام علي عليه السلام في شهر رمضان عام ٤٠ هـ قتيلاً بسبب تنفيذ مؤامرة الخوارج، التي كانت تستهدف القضاء على أقطاب المعارضين لفكرة الخوارج.

من توجيهاته

«واعلموا عباد الله أن المؤمن يستحل العام ما استحل عامًا أول، ويحرم العام ما حرّم عامًا أول، وأن ما أحدث الناس لا يحل لكم شيئًا مما حرم عليكم، ولكن الحلال ما أحل الله، والحرام ما حرّم الله، فقد جرّبتم الأمور، وضرستموها[١] ووعظتم بمن كان قبلكم، وضربت لكم الأمثال، ودعيتم إلى الأمر الواضح، فلا يصم عن ذلك إلا أصم، ولا يعمى عن ذلك إلا أعمى، ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة[٢]، وأتاه التقصير

(١) ضرستموها: خبرتموها.

(٢) العظة: النصيحة.

من أمامه، حتى يعرف ما أنكر، وينكر ما عرف ... فإن الناس رجلان: متبع شرعة[١] ومبتدع بدعة[٢] ليس معه من الله برهان سنة، ولا ضياء حجة.

وإن الله سبحانه لم يعظ أحدًا بمثل هذا القرآن .. فإنه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب[٣]، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره، مع أنه قد ذهب المتذكرون، وبقي الناسون أو المتناسون ...

فإذا رأيتم خيرًا فأعينوا عليه، وإذا رأيتم شرًّا فاذهبوا عنه».

(١) متبع شرعة: سائر في طريق حق.

(٢) مبتدع بدعة: سائر في طريق باطل.

(٣) القلب: استقامة التفكير.

نهج البلاغة

نهج البلاغة

هو مجموعة من روائع خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ووصاياه ورسائله وقصار حكمه.

جامعه

السيد الشريف الرضي من علماء وأدباء القرن الرابع الهجري.

أسلوبه

يقع نهج البلاغة في سمو أسلوبه الأدبي بعد القرآن الكريم وروائع كلام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد امتاز: بعمق الفكرة، وصدق العاطفة، وروعة البيان .. إلى: رواء في التعبير، وجمال في أداء المعنى، وسحر في الإيحاء، وبعد التأثير الكبير على القارئ والسامع.

أهميته

يعد نهج البلاغة من أهم المصادر الكبرى التي احتفظت بتراثنا الحضاري، وتبرز أهميته بما يلي:

١. اعتباره مرجعًا في علوم اللغة العربية وآدابها.

٢. اعتباره مرجعًا في علوم العقيدة الإسلامية.

٣. اعتباره مرجعًا في علوم التشريع الإسلامي.

٤. اعتباره مرجعًا في تاريخ صدر الإسلام والجاهلية والأمم القديمة.

٥. اعتباره مرجعًا في كثير من المعارف العامّة كالتربية والأخلاق والإدارة والنفس والاجتماع والسياسة.

محتوياته

يشتمل نهج البلاغة على:

- ٢٣٦٠ خطبة ومقتطفة من كلام الإمام علي عليه السلام.
- ٧٩٠ كتابًا (رسائل).
- ٤٨٠٠ حكمة.

ومن روائع محتوياته: خطبة التوحيد، ووصية الإمام لابنه الحسن عليه السلام، وعهد الإمام إلى مالك الأشتر واليه على مصر.

من نهج البلاغة

(للمناقشة والبحث)

١. من وصية الإمام لابنه الحسن

«فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله أَيْ بُنَيَّ ولُزُوم أَمْرِهِ وعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ والاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ وأَيُّ سَبَبٍ[1] أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وبَيْنَ الله إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ؟»

٢. من عهد الإمام إلى الأشتر

«هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الله عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلاهُ مِصْرَ: جِبَايَةَ خَرَاجِهَا[2]، وجِهَادَ عَدُوِّهَا، واسْتِصْلاحَ أَهْلِهَا، وعِمَارَةَ بِلادِهَا.

أَمَرَهُ: بِتَقْوَى الله، وإِيْثَارِ طَاعَتِهِ[3]، واتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وسُنَنِهِ، الَّتِي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلا بِاتِّبَاعِهَا، ولا يَشْقَى إِلا مَعَ جُحُودِهَا وإِضَاعَتِهَا،

---

(١) سبب: علاقة. رابطة. اتصال.

(٢) الخراج: الضرائب المالية.

(٣) إيثار طاعته: تقديم طاعة الله على طاعة غيره.

وأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ ويَدِهِ ولِسَانِهِ، فَإِنَّهُ ـ جَلَّ اسْمُهُ ـ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

وأَمَرَهُ: أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، ويَنْزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ[1]، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ اللهُ».

٣. من قصار حكمه

١. احمد من يغلظ عليك ويعظك، لا من يزكيك ويتملقك.

٢. الأشرار يتبعون مساوئ الناس ويتركون محاسنهم، كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة.

٣. إياك وصاحب السوء فإنه كالسيف المسلول يروق منظره ويقبح أثره.

٤. إياك ومواقف الاعتذار، فرب عذر أثبت الحجة على صاحبه وإن كان بريئًا.

٥. لا تفرح بسقطة غيرك، فإنك لا تدري ما تتصرف الأيام بك.

---

(١) الجمحات: المعاصي.

الإمام الحسن بن علي عليه السلام

هو: الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولادته

ولد الإمام الحسن عليه السلام في المدينة المنورة عام ٣ هـ.

تربيته

عاش الإمام الحسن عليه السلام في ظلال جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وفي رعاية أمه فاطمة الزهراء عليها السلام سبع سنوات، وعاش مع أبيه عليه السلام حتى وفاته عام ٤٠ هـ.

وقد وفرت له هذه الفترة التي عاشها مع جده وأمه وأبيه كل أسباب التربية الإسلامية الناجحة، فكونت منه شخصية إسلامية كاملة وخالصة.

خلافته

ولي شؤون الخلافة بعد وفاة أبيه عليه السلام عام ٤٠ هـ.

ومن أهم الأعمال التي قام بها حين توليه الخلافة

تنفيذه جيش أبيه عليه السلام الذي كان قد أعدّه لمحاربة معاوية بن أبي سفيان لأنه تمرّد على قبول أمر الإمام عليه السلام بعزله عن ولاية الشام، وانحرف عن تعاليم الإسلام وأحكامه في مجال مسؤولياته كوالٍ على الشام.

إلا أن عوامل وقفت دون الإمام الحسن عليه السلام وقضائه على معاوية بهذا الجيش.

أهمها ما يلي:

١. خيانة قائد الجيش بسبب إغراء معاوية له بالأموال والآمال.
٢. انشقاق صفوف أفراد الجيش بفعل المندسّين من جماعة معاوية بينهم.
٣. وجود الخوارج في الجيش، حيث اغتنموا فرصة الانشقاق، فقاموا بتفريق الجيش وتبديده.

مهادنة الإمام الحسن لمعاوية

بعد تفريق جيش الإمام الحسن عليه السلام وتبدده كانت الظروف السياسية حينذاك تملي على الإمام الحسن عليه السلام أن يهادن معاوية ويركن إلى السلم. فهادن الإمام الحسن عليه السلام معاوية على شروط، أهمها ما يلي:

١. يسلم الإمام الحسن عليه السلام الحكم إلى معاوية، شريطة أن يعمل معاوية بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وبسيرة الخلفاء الراشدين.
٢. أن يعود الحكم إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد معاوية إن كان الإمام الحسن حيًّا، وإن كان ميتًا يعطى الحكم إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام ولا يجوز لمعاوية أن يعهد بالحكم إلى أحد.

إلا أن معاوية حينما تمت له السيطرة على الحكم لم يفِ بالشروط وخانها.

عوامل المهادنة

إن أهم أسباب المهادنة هي ما يلي:

١. تخاذل العراقيين أمام عصابات معاوية التي كانت تغزوهم أيام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن نصرته عليه السلام حينما كان يدعوهم إلى رد عادية تلك العصابات الغازية.

٢. ابتعاد الكثيرين من الشخصيات الاجتماعية عن الإمام الحسن عليه السلام من الذين بايعوه طمعًا بالمنصب والغنيمة، وذلك لالتزام الإمام الحسن عليه السلام بمبدأ الكفاءة والأمانة في التوظيف، ومبدأ المساواة في توزيع الأموال الخراجية، تطبيقًا للعدالة الإسلامية.

٣. تدسُّس المنافقين من جواسيس معاوية وعملائه في صفوف جماعة الإمام الحسن عليه السلام للبلبلة والتضليل.

٤. تخلف الكثيرين ممن بايع الإمام الحسن عليه السلام من العراقيين على قتال معاوية عن الخروج إلى الجهاد معه، خديعة منهم.

٥. بث معاوية للرسائل التي جاءته سرًّا من العراقيين، والتي تتضمن الولاء لمعاوية، والخيانة بالإمام الحسن عليه السلام بين أفراد جيش الإمام الحسن عليه السلام لإرباك الجيش وإضعافه.

وفاته

توفي الإمام الحسن عليه السلام في المدينة المنورة سنة ٥٠ هـ.

من توجيهاته

١. من وصية له عليه السلام لبعض أصحابه

واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا، وإذا أردت عزًا بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذل معصية الله إلى عزّ

طاعته ـ عزّ وجلّ ـ وإذا نازعتك[١] إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا صحبته زانك.

٢. ومن وصية له عليه السلام لبعض ولده

يا بني لا تؤاخ أحدًا حتى تعرف موارده ومصادره[٢]، فإذا استنبطت الخبرة[٣] ورضيت العشرة[٤]، فآخه على إقالة العثرة[٥] والمواساة في العسرة[٦].

٣. ومن مواعظه عليه السلام العامّة

اتعظوا عباد الله بالعبرة[٧]، واعتبروا بالأثر[٨]، وازدجروا بالنعيم[٩] وانتفعوا بالمواعظ، فكفى بالله معتصمًا ونصيرًا، وكفى بالكتاب حجيجًا وخصيمًا، وكفى بالجنّة ثوابًا، وكفى بالنار عقابًا ومآلاً.

---

(١) نازعتك: دفعتك.
(٢) موارده ومصادره: سلوكه.
(٣) استنبطت الخبرة: استفدت النتيجة المقبولة بعد معرفة سلوكه.
(٤) العشرة: الصحبة.
(٥) إقالة العثرة: إعذاره إذا أخطأ.
(٦) المواساة في العسرة: مشاركته في شدائده.
(٧) العبرة: الحوادث التي يستفاد منها النصائح.
(٨) الأثر: آثار الناس الماضين.
(٩) ازدجروا: ارتدعوا.

الإمام الحسين بن علي عليه السلام

هو: الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولادته

ولد الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنورة عام ٤ هـ.

تربيته

عاش الإمام الحسين عليه السلام مع جده النبي صلى الله عليه وآله وأمه الزهراء عليها السلام وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام الحياة التي عاشها معهم أخوه الإمام الحسن عليه السلام. مما وفر له أسباب التربية الإسلامية الناجحة كأخيه الإمام الحسن عليه السلام والتي كوّنت منه ـ أيضًا ـ شخصية إسلامية كاملة وخالصة.

إمامته

شغل الإمام الحسين عليه السلام منصب الإمامة بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام سنة ٥٠ هـ.

ومن أهم الأعمال التي قام بها حينما تولّى شؤون الإمامة ما يلي:

١. مواصلة دفع الدعوة الإسلامية.
٢. مقاومة الانحرافات الحادثة في المجتمع الإسلامي.

٣. قيادة وتوجيه حركة المسلمين في الكوفة ضدّ الحكم الأموي المنحرف.

٤. تضحيته بنفسه الكريمة يوم كربلاء إحياءً للمبدأ الإسلامي الذي كاد أن يقضي عليه جور الأمويين واستبدادهم.

وقعة كربلاء

كان يزيد بن معاوية الحاكم الأموي المعاصر للإمام الحسين عليه السلام مستبدًّا ومنحرفًا عن أحكام الإسلام وتعاليمه، وجائرًا في حكمه وسلطانه، بحيث ساء الوضع السياسي والاجتماعي في أيامه وفسد فسادًا كبيرًا.

وكان المسلمون المخلصون في العراق من أتباع أهل البيت عليهم السلام يحاولون دائمًا إصلاح الوضع السياسي والاجتماعي بشتى الطرق السلمية فلم يفلحوا، فقاموا بحركة انفصالية تستهدف عزل العراق عن الحكم الأموي واختيار الإمام الحسين عليه السلام خليفة للمسلمين. وبعد أن يتسلّم الإمام الحسين عليه السلام سلطة الخلافة في العراق، يحاولون إصلاح الوضع العام بقيادته عليه السلام في بقية الأقطار الإسلامية وإنقاذها من حكومة الأمويين الجائرة.

فسيطروا على الوضع العام في الكوفة، وكاتبوا الإمام الحسين عليه السلام بأن يتوجّه من المدينة إلى الكوفة ليتسلّم سلطة الحكم فيها.

فأرسل الإمام الحسين عليه السلام إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل ليستطلع الحالة هناك ويتسلّم سلطة الحكم مؤقتًا إلى أن يصل الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة.

ووصل مسلم بن عقيل الكوفة، وخرج بعده الإمام الحسين عليه السلام من المدينة قاصدًا الكوفة.

إلا أنه حينما علم يزيد بذلك أصدر أمره بعزل والي الكوفة ونقل والي البصرة عبيد الله بن زياد واليًا على الكوفة، وأعطاه كافّة الصلاحيات التي تخوله معالجة الوضعية بمختلف الوسائل والأساليب.

وعندما وصل عبيد الله بن زياد الكوفة قام بما يلي:

١. استعان بأتباع الأمويين في الكوفة.

٢. استمال النفعيين والانتهازيين بالأموال.

٣. اعتقل - عن طريق جواسيسه وأعوانه - أكثر قادة الحركة الانفصالية والمهمين من أتباعهم.

٤. استعمل سياسة الإغراء والإرهاب في إبعاد الناس عن مسلم بن عقيل.

٥. قضى على مسلم بن عقيل.

٦. جهّز جيشًا لمحاربة الإمام الحسين عليه السلام ألّفه من أتباع الأمويين ومن الانتهازيين وذوي النفوس الضعيفة، بعد أن أغراهم بزيادة عطائهم المالي مئة مئة .. ومن عامّة الضعفاء والدهماء الذين خرجوا خوفًا وطمعًا.

٧. ألف قادة الجيش من النفعيين الذين أغراهم بالإقطاع والمناصب الحكومية العالية.

٨. سيّر قسمًا من الجيش إلى ملاقاة الإمام الحسين عليه السلام قبل دخول الكوفة ليحاصره في موضع يمنعه فيه من الدخول إلى الكوفة والخروج من العراق.

وحينما لاقى الجيش الإمام الحسين عليه السلام حاصره في كربلاء.

٩. وبعد محاصرة الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء سيَّر عبيد الله بن زياد الجيش الذي أعدّه لمحاربة الإمام الحسين عليه السلام بكامله إلى كربلاء، وكان مؤلفًا من عشرات الألوف.

وكان جيش الإمام الحسين عليه السلام دون المئة مقاتل.

ووقعت المعركة بينهما.

وكانت نتيجتها أن استشهد الإمام الحسين عليه السلام هو وأتباعه بعد أن خيَّره قائد الجيش الأموي بين الخضوع لحكم يزيد بن معاوية وبين أن يقتل ويبعث برأسه إلى يزيد، واختار الإمام الحسين عليه السلام الشهادة احتجاجًا على سياسة يزيد الجائرة، وامتثالاً للواجب الديني الذي يفرض على المسلم التضحية في المجال الذي تفشل فيه كل الوسائل والأساليب في رد انحراف الحكّام وظلمهم.

وليستفيد المسلمون من تضحيته وقتله في مجال القضاء على الانحراف والحكام المنحرفين.

وأهم ما استفاده المسلمون من شهادة الإمام الحسين عليه السلام في القضاء على الأمويين ما يلي:

٥. كشفت شهادته عليه السلام واقع الحكّام الأمويين. وفضحت أن تسترّهم بالإسلام كان خديعة للمسلمين.
٦. بعثت الشعور بالمسؤولية الاجتماعية لدى الواعين من المسلمين فكانت العامل الوحيد لثورة التوابين.
٧. دفعت المسلمين إلى الثورات المتتالية ضدّ الأمويين، وقد تمثل هذا الدفع في ثورات العلويين.
٨. ساهمت كعامل أهم في سقوط الدولة الأموية[١].

وفاته

توفي الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء شهيدًا يوم العاشر من شهر محرم سنة ٦١ هـ.

---

(١) للاستزادة يقرأ: المؤلف: ثورة الحسين عليه السلام.

من توجيهاته

١. أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطانًا جائرًا مستحلاً لحرام الله، ناكثًا عهده مخالفًا لسنة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله.

٢. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١] فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فريضة منه لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم، ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها.

(١) التوبة: ٧١.

الإمام علي بن الحسين عليه السلام

هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

ولادته

ولد الإمام علي بن الحسين عليه السلام في المدينة المنورة عام ٣٨ هـ.

إمامته

تولى الإمام علي بن الحسين عليه السلام شؤون الإمامة بعد شهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام عام ٦١ هـ.

وقد لاقى طيلة مدّة إمامته من ضغط الحكومة الأموية عليه قساوة شديدة، فقد فرضوا عليه الرقابة الخانقة، ورصدوا له الجواسيس والعيون، لئلاً يواصل مسيرة حركة الدعوة الإسلامية التي دفعها إلى الأمام أبوه الإمام الحسين عليه السلام بتضحية يوم كربلاء.

إلا أن جميع إجراءات واحتياطات الأمويين تجاه الإمام علي بن الحسين عليه السلام لم تستطع أن تقف حاجزًا أمام مواصلته حركة الدعوة الإسلامية، فقد اتخذ عليه السلام من الوصايا والدعوة وسيلة لنشر الإسلام، ومحاربة الأمويين.

وقد جمع الكثير من أدعيته في كتاب واحد، سمي بـ (الصحيفة).

وفاته

توفي الإمام علي بن الحسين عليه السلام في المدينة المنورة سنة ٩٤ هـ.

من أدعيته التوجيهية

اللهم صلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَوَفِّقْنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا وَلَيْلَتِنَا هَذِهِ، وَفِي جَمِيعِ أَيَّامِنَا: لاسْتِعْمَالِ الْخَيْرِ، وَهِجْرَانِ الشَّرِّ، وَشُكْرِ النِّعَمِ، وَاتِّبَاعِ السُّنَنِ[١]، وَمُجَانَبَةِ الْبِدَعِ[٢]، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَحِيَاطَةِ الإِسْلاَمِ[٣]، وَانْتِقَاصِ الْبَاطِلِ وَإِذْلاَلِهِ وَنُصْرَةِ الْحَقِّ وَإِعْزَازِهِ، وَإِرْشَادِ الضَّالِّ[٤]، وَمُعَاوَنَةِ الضَّعِيفِ وَإِدْرَاكِ اللَّهِيفِ[٥].

---

(١) السنن: أحكام الشريعة الإسلامية.

(٢) البدع: أحكام الكفر.

(٣) حياطة الإسلام: المحافظة على الإسلام.

(٤) الضال: التائه الذي لا يدل الحق.

(٥) اللهيف: الإنسان المحتاج إلى المساعدة.

الصحيفة

الصحيفة

هي مجموعة من أدعية الإمام علي بن الحسين عليهما السلام.

تأليفها

ألفت الصحيفة وجمعت في عهد الإمام علي بن الحسين عليه السلام وكتبت منها نسختان. احتفظ بإحداهما ابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، وتوارثها من بعده الأئمة المعصومون عليهم السلام، واحتفظ بالأخرى ابنه زيد ـ رضوان الله عليه ـ وتوارثها من بعده بنوه.

ثم ألفت نسخ أخرى من قبل بعض علماء المسلمين، تشتمل على أدعية النسختين الأولين مع نقصان يسير أو زيادة يسيرة.

أهميتها

وللصحيفة أهمية كبرى لدى المسلمين، فقد عنوا بها عناية كبيرة، ولا تزال موضع الاعتناء والاهتمام.

وتظهر أهميتها فيما يأتي:

١. لأنها دعاء، والدعاء من أهم المستحبات الإسلامية.

٢. اعتبارها مرجعًا في علوم اللغة العربية وآدابها.

٣. اعتبارها مرجعًا في علوم العقيدة الإسلامية.

٤. اعتبارها مرجعًا في علم الأخلاق.

٥. اعتبارها مرجعًا في بعض المعارف العامّة.

محتوياتها

تشتمل الصحيفة على ٥٤ دعاءً.

ومن روائع أدعيتها: دعاء مكارم الأخلاق، دعاء الإمام لأهل الثغور،دعاؤه عند الصباح والمساء.

من أدعية الصحيفة

للمناقشة والبحث

دعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام للجيران

اللَّهُمَّ تَوَلَّنِي فِي جِيرَانِي بِإِقَامَةِ سُنَّتِكَ، وَالأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ، فِي إِرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ[١]. وَتَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ. وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ وَسَتْرِ عَوْرَاتِهِمْ[٢]، وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مُوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ[٣]، وَالْعَوْدَةِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَةِ[٤]، وَالإِفْضَالِ[٥] وَإِعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ، وَالْجُودِ بِالنَّوَالِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

---

(١) الخلة: الحاجة.

(٢) عوراتهم: نقائصهم، عيوبهم.

(٣) مواساتهم بالماعون: مواساتهم بالمعيشة الاقتصادية.

(٤) الجدة: المال.

(٥) الإفضال: الإحسان.

رسالة الحقوق

رسالة الحقوق

هي مجموعة من تعليمات الإمام علي بن الحسين عليهما السلام تتضمن مختلف الحقوق الإنسانية.

تشتمل رسالة الحقوق على ٥٠ حقًّا. ضمنها الإمام علي بن الحسين عليه السلام تعليماته الإسلامية في:

١. حقوق الله تعالى.
٢. حقوق الفرد.
٣. حقوق الأسرة.
٤. حقوق المجتمع.
٥. حقوق الدولة.

من رسالة الحقوق

للمناقشة والبحث

حق الصاحب

وأما حق الصاحب

فأن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً، وإلاَّ فلا أقل من الإنصاف.

وأن تكرمه كما يكرمك، وتحفظه كما يحفظك، ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة، فإن سبقك كافأته، ولا تقصر به عما يستحق من المودّة.

تلزم نفسك نصيحته، وحياطته، ومعاضدته على طاعة ربه، ومعونته على نفسه فيما يهم به من معصية ربه ..

ثم تكون عليه رحمة، ولا تكن عليه عذابًا .. ولا قوة إلا بالله.

الإمام محمد الباقر عليه السلام

هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولادته

ولد الإمام محمد الباقر عليه السلام في المدينة المنورة عام ٥٧ هـ.

إمامته

تولى الإمام الباقر عليه السلام شؤون الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام علي بن الحسين عليهما السلام عام ٩٤ هـ.

ومن أهم الأعمال التي قام بها ما يلي:

تنشيط الحركة الفكرية الإسلامية بعد الفتور الذي مرّت به منذ حكم معاوية بن أبي سفيان.

بعث حركة التشريع الإسلامي ـ بصورة خاصّة ـ بعثًا أعاد للفقه الإسلامي مركزه في الحياة الإسلامية.

وقد ساعد الإمام الباقر عليه السلام على القيام بهذه الأعمال ظروف الفترة التي عاشها حيث صادفت أواخر أيام الحكم الأموي في ضعفها وتضعضعها بسبب العوامل التي ساهمت في ضعف الدولة الأموية وسقوطها.

وأهم هذه العوامل التي ساعدت على سقوط الدولة الأموية، هي:

١. قتل الأمويين لأعلام الفكر والإصلاح من المسلمين، أمثال: ميثم التمّار، ورشيد الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وحجر بن عدي الكندي.

٢. قتل الأمويين للإمام الحسين عليه السلام في وقعة كربلاء.

٣. استباحة الأمويين المدينة المنورة في وقعة الحرّة.

٤. رمي الأمويين الكعبة المشرّفة بالمنجنيق.

٥. ثورات العلويين المتتابعة لإسقاط الحكومة الأموية.

٦. استهتار أكثر الحكّام الأمويين، ومخالفتهم للشريعة الإسلامية في سلوكهم الشخصي.

٧. عدم مبالاة الأمويين بموقف المسلمين الناقم عليهم وإصرارهم على أعمالهم المنافية.

وفاته

توفي الإمام محمد الباقر عليه السلام في المدينة المنوّرة عام ١١٤ هـ.

من توجيهاته

١. يا بني .. إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقًّا، وإن ضجرت لم تصبر على حق.

٢. كفى بالمرء عيبًا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحوّل عنه، وإن يؤذي جليسه بما لا يعنيه.

٣. إن هذا اللسان مفتاح كل خير وشر، فينبغي للمؤمن أن يختم على لسانه كما يختم على ذهبه وفضّته، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: رحم الله مؤمنًا أمسك لسانه من كل شر.

٤. ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع، والتخشّع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبر بالوالدين،

وتعهّد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

ولادته

ولد الإمام جعفر الصادق عليه السلام في المدينة المنوّرة عام ٨٣ هـ.

إمامته

تولى الإمام الصادق عليه السلام شؤون الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الباقر عليه السلام سنة ١١٤ هـ.

وكانت الظروف السياسية التي عاشها الإمام الصادق عليه السلام مدّة توليه أمر الإمامة مواتية له للقيام بمسؤوليته الإسلامية بصفته إمامًا، فقد هيأت له الأجواء الملائمة لنشر الإسلام عن طريق الفكر والتثقيف، فكانت مدرسته عليه السلام في الفقه والحديث أضخم مدرسة عرفها التاريخ الإسلامي، حيث بلغ عدد تلامذته ما يقارب أربعة آلاف تلميذ، ألّف بعضهم من محاضرات الإمام الصادق عليه السلام أربعمئة كتاب في مختلف علوم الشريعة الإسلامية سميت بِـ «الأصول الأربعمئة»، مما ساهم مساهمة فعّالة وكبرى في تهيئة المجال والوسائل لحفظ التراث الثقافي الإسلامي، ولنقله إلى الأجيال الإسلامية.

الأعمال التي قام بها

ومن أهم الأعمال التي قام بها ما يلي:

١. تنقية العقيدة الإسلامية مما علق بها من دخيل ومما دخلها من تحريف، بسبب ما أثاره الزنادقة من شبهات حولها.

٢. تكوين شخصيات إسلامية مبدئية، أمثال: هشام بن الحكم، ومحمد بن مسلم، وزرارة بن أعين.

٣. تهذيب التشريع الإسلامي مما دخل أحكامه من تغيير وتحريف بسبب ما أحدثه المتطفلون عليه.

وأهم العوامل التي ساعدت الإمام الصادق عليه السلام على تأدية رسالته هي ما يلي:

١. مجيء دور مسؤولية الإمام الصادق عليه السلام في فترة الانتقال للحكومة العباسية، حيث كان الحكام العباسيون منصرفين إلى تثبيت قواعد حكمهم الجديد.

٢. إقامة الإمام الصادق عليه السلام في المدينة المنورة مركز الثقل الديني، حيث كانت تهاب من قبل الحكومة.

٣. مركز الإمام الصادق عليه السلام الديني والاجتماعي عند المسلمين، حيث كان يراعى لذلك عند الحكومة.

٤. ابتعاد الإمام الصادق عليه السلام عن مجال الصراع السياسي لعلمه عليه السلام بعدم وصوله إلى الحكم نتيجة الحوادث السياسية والاجتماعية التي كان قد عاشها آنذاك.

٥. تطلّع المسلمين إلى الفقهاء لأخذ الأحكام الإسلامية عنهم حيث انقرض صحابة النبي صلى الله عليه وآله وكان الإمام الصادق عليه السلام الفقيه الأكبر للمسلمين وأستاذ فقهائهم.

وفاته

توفي الإمام الصادق عليه السلام في المدينة المنورة عام ١٤٨ هـ.

من توجيهاته

١. يا بني .. كن لكتاب الله تاليًا، وللسلام فاشيًا، وبالمعروف آمرًا، وعن المنكر ناهيًا، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئًا ولمن سألك معطيًا .. وإياك والنميمة، فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال .. وإياك والتعرّض لعيوب الناس بمنزلة الهدف.

٢. الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة[١]. وقاضي حاجته كالمتشحّط بدمه[٢] في سبيل الله يوم بدر وأحد[٣]، وما عذّب الله أمة إلا عند استهانتهم بحقوق فقراء إخوانهم.

٣. بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم: لا تذهبنّ بكم المذاهب، فو الله لا تنال ولايتنا إلا بالورع والاجتهاد في الدين، ومواساة الإخوان في الله، وليس من شيعتنا من يظلم الناس.

---

(١) الصفا والمروة من مشاعر الحج في مكّة المكرّمة.

(٢) المتشحّط بدمه: القتيل الذي ينزف منه الدم بكثرة.

(٣) بدر وأحد: من معارك المسلمين مع المشركين.

الإمام موسى الكاظم عليه السلام

هو: موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولادته

ولد الإمام الكاظم عليه السلام في قرية (الأبواء) الواقعة بين مكّة والمدينة عام ١٢٨ هـ.

إمامته

تولى الإمام الكاظم عليه السلام شؤون الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الصادق عليه السلام سنة ١٤٨ هـ.

الأعمال التي قام بها

ومن أهم أعماله عليه السلام:

مشاركته المسلمين في مقاومة انحراف الحكومة العباسية، فقد كانت حركة المسلمين لمقاومة انحراف الحكومة العباسية ـ حينذاك ـ قوية ومنتشرة .. مما دعا الإمام الكاظم عليه السلام أن يقف بعض المواقف المناوئة للحكومة العباسية، ليقوم بواجبه الإسلامي في القضاء على انحراف العباسيين عن تعاليم الإسلام وأحكامه، وذلك أن الأحكام العباسيين كانوا من البذخ والترف والتلاعب

بأموال المسلمين بما لا يلتقي وأحكام التشريعية الإسلامية، التي تفرض على الحاكم أن يساوي في حياته المعيشية أقل فقير من أفراد الشعب، ليتحسّس آلامه ويحيا شقاءه فيعمل بكل جهده من أجل إنقاذه من حياة الفقر إلى الحياة الكريمة الطيبة .. بالإضافة إلى وجود الجياع والعرايا من أبناء الشعب إلى جانب حياتهم المترفة، ونصب أعينهم.

إلا أن الحكومة العباسية ـ وكانت تمثّل في حاكمها الأعلى هارون الرشيد ـ حينما علمت ذلك من الإمام الكاظم عليه السلام فرضت الرقابة الشديدة عليه، وتتبعت القائمين بالحركة هم وأتباعهم بالقتل والتنكيل والسجن والاعتقال.

وحذرًا من قوة الحركة ونشاطها وتوسعها، جلب هارون الرشيد الإمام الكاظم عليه السلام إلى العراق وسجنه في البصرة ثم نقله إلى سجن بغداد.

وكان الإمام الكاظم عليه السلام يتّصل وهو في السجن بأتباعه ويراسلهم ويراسلونه حرصًا منه على نجاح الحركة.

ولما علمت الحكومة العباسية بذلك ضيقت على الإمام الكاظم عليه السلام غاية التضييق ثم قضت عليه.

وفاته

توفي الإمام الكاظم عليه السلام في بغداد عام ١٨٣ هـ.

من توجيهاته

١. يا بني إياك أن يراك الله في معصية نهاك عنها، وإياك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها، وعليك بالجدّ، ولا تخرجنّ نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته، فإن الله لا يعبد حقّ عبادته ..

وإياك والمزاح، فإنه يذهب بنور إيمانك، ويستخف مروتك.

وإياك والضجر والكسل فإنهما يمنعان حظّك من الدنيا والآخرة.

٢. ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسنًا استزاد منه، وإن عمل سيئًا استغفر الله منه وتاب إليه.

٣. أبلغ خيرًا، وقل خيرًا، ولا تكن إمعة[١]: لا تقل: أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس، إن رسول الله ﷺ قال: يا أيها الناس، إنما هما نجدان[٢]: نجد خير ونجد شر، فلا يكن نجد الشرّ أحب إليكم من نجد الخير.

(١) الإمعة: المنافق الذي يقول لكل فئة من الناس: أنا معكم.

(٢) النجد: الطريق.

الإمام علي الرضا عليه السلام

هو: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولادته

ولد الإمام علي الرضا عليه السلام في المدينة المنورة عام ١٤٨ هـ.

إمامته

تولى شؤون الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الكاظم عليه السلام سنة ١٨٣ هـ.

ومن أهم الأعمال التي قام بها ما يلي:

١. توضيح وتركيز العقيدة الإسلامية وتنقيتها مما دخلها من تحريف في بداية الحكم العباسي.

٢. تدريس التشريع الإسلامي، ونشر حديث أهل البيت عليهم السلام.

٣. إيضاح وإثبات أحقية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرة.

ولاية العهد

وفي فترة إمامة الإمام الرضا عليه السلام اختاره المأمون ـ الحاكم العباسي حينذاك ـ ولي عهده، لعوامل سياسية أهمها ما يلي:

١. محاولة المأمون أن يرغم أبناء عمّه من العباسيين بإعطائه ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام لأنهم انحازوا إلى أخيه الأمين ليجلبهم إلى جانبه خوفًا منهم على انتقال الخلافة من العباسيين إلى العلويين.
٢. محاولة المأمون إخماد الحركات السياسية الداعية إلى أهل البيت عليهم السلام لئلاً يستغلوا فجوة الخلاف بينه وبين أخيه الأمين وانشقاق العباسيين في شأن الخلافة.
٣. محاولة المأمون استمالة أتباع الإمام الرضا عليه السلام إلى جانبه ليدعم بذلك قواه ضدّ مناوئيه من أنصار أخيه الأمين.

وتتمثل هذه المحاولة من المأمون بالإضافة إلى ولاية العهد فيما يأتي:

- في اعتراف المأمون بأن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أحق بالخلافة من العباسيين، الاعتراف الذي صرّح به وأكّده في مناظراته، وفي وثيقة نص ولاية العهد.
- في ضرب المأمون النقود باسم الإمام الرضا عليه السلام.

٤. جعل الإمام الرضا عليه السلام تحت رقابته مباشرة، لئلاً يقوم بأي نشاط سياسي معاد للحكم العباسي.

وفاته

توفي الإمام الرضا عليه السلام في مدينة طوس من مقاطعة خراسان سنة ٢٠٣ هـ.

من توجيهاته

١. عونك للضعيف أفضل من الصدقة.
٢. من أخلاق الأنبياء التنظُّف.
٣. من خيار العباد: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا.

٤. صل رحمك ولو بشربة من ماء.

من دعائه

اللهم أعطني الهدى وثبتني عليه، واحشرني عليه آمنا أمن من لا خوف عليه ولا حزن، ولا جزع، إنك أهل التقوى وأهل المغفرة.

الإمام محمد الجواد عليه السلام

هو: محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

ولادته

ولد الإمام محمد الجواد عليه السلام في المدينة المنورة عام ١٩٥ هـ.

إمامته

تولى شؤون الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام علي الرضا عليه السلام سنة ٢٠٣ هـ.

وقد جلبه المأمون إلى بغداد حينما توفي أبوه الإمام الرضا عليه السلام للأسباب التالية:

١. ليضع الإمام الجواد عليه السلام تحت رقابته مباشرة.
٢. ليستميل أتباع الإمام الجواد عليه السلام فيأمن موقفهم العدائي من الحكم العباسي.

وقد أثار تقريب المأمون للإمام الجواد عليه السلام حفيظة العباسيين فوقفوا منه موقف العداء، وحاولوا الوقيعة بالإمام الجواد عليه السلام فأثاروا الشبهات حول إمامته لأنه كان صغير السن.

ولكن المأمون دعاهم إلى محاولة كشف واقع الإمام الجواد عليه السلام للناس .. فإن كان كما يقولون عنه لا أهلية له للإمامة فقد أوقعوا به بين الناس، وإن كان متوفرًا على مؤهلات الإمامة، فيكفون عن إثارة الشبهات والشكوك حول إمامته.

فعقدت مجالس لذلك حضرها أعلام الشريعة الإسلامية في ذلك العصر أمثال: يحيى بن أكثم، لمناقشة ومناظرة الإمام الجواد عليه السلام .

ونوقشت فيها مسائل خطيرة من أهم مسائل الشريعة الإسلامية فكانت نتائج تلك المجالس نجاح الإمام الجواد عليه السلام وتفوقه على العلماء في جميع ما أثير من المسائل .. مما كشف للمسلمين أهلية الإمام الجواد عليه السلام التامّة للإمامة التي كان يتمتع بها، واستحقاقه الشرعي للخلافة.

ثم عاد الإمام الجواد عليه السلام إلى المدينة المنورة بعد أداء فريضة الحج وبقي فيها حتّى وفاة المأمون.

وفاته

حينما توفي المأمون وخلفه أخوه المعتصم، جلب الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد مرة ثانية.

وبقي الإمام الجواد عليه السلام في بغداد حتّى أواخر سنة وصوله إليها، فتوفي، وذلك في عام ٢٢٠ هـ.

من توجيهاته

١. لا تعادِ أحدًا حتّى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى، فإن كان محسنًا فإنه لا يسلمه إليك، وإن كان مسيئًا فإن علمك به يكفيه فلا تعاده.
٢. لا تكن وليًّا لله في العلانية، وعدوًّا في السر.
٣. المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه.

٤. تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله مهلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله ﴿وَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١].

٥. إظهار الشيء قبل أن يستحكم[٢] مفسدة له.

٦. اعلم أنك لن تخلو من عين الله، فانظر كيف تكون.

---

(١) الأعراف: ٩٩.

(٢) يستحكم: يتم.

الإمام علي الهادي عليه السلام

هو: علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولادته

ولد الإمام علي الهادي عليه السلام في المدينة المنورة عام ٢١٢ هـ.

إمامته

تولى الإمام الهادي عليه السلام شؤون الإمام بعد وفاة أبيه الإمام الجواد عليه السلام سنة ٢٢٠ هـ.

وفي أيام الإمام الهادي عليه السلام اتسعت حركة أتباع أهل البيت عليهم السلام، وقويت حتى كادت أن تتمخّض عن ثورة انفصالية تفصل الحجاز بدولة مستقلة عن الحكم العباسي، لولا موقف والي المدينة المنورة من قبل العباسيين، حيث رفع تقريرًا إلى المتوكل ـ الحاكم العباسي حينذاك ـ عن هذه الحركة ونشاطها مما دفع المتوكل إلى أن يرسل وفدًا من قبله لدراسة الحالة في المدينة وللتعرف على الحركة، فجلب الإمام الهادي عليه السلام إلى سامرّاء.

وحينما وصل الوفد العباسي إلى المدينة المنوّرة قام بما يلي:

١. تحرّى دار الإمام الهادي عليه السلام إلا أنه لم يجد فيها غير المصاحف وكتب الدعاء والعلم.

٢. أعلن حمل الإمام الهادي عليه السلام إلى العراق.

فأثار بهذا الإعلان ضجّة استنكار عالية من أهالي المدينة.

فحاول الوفد أن يهدأ الرأي العام في المدينة، واستطاع بعد أن أقنع أهالي المدينة بأن حمل الإمام الهادي عليه السلام إلى العراق ليس بدافع عدائي من قبل الحكومة، وإنما هو بدافع احتياج الحكّام في العراق إلى الإمام الهادي عليه السلام.

والإجراءات التي قام بها الوفد لإقناع الرأي العام هي ما يأتي:

١. عزل والي المدينة العباسي لأنه أساء إلى الإمام الهادي عليه السلام.

٢. نشر كتاب المتوكل الذي أرسله إلى الإمام الهادي عليه السلام على عامّة الناس.

وقد كان من محتوياته:

- قرار بفصل والي المدينة.
- شوق المتوكل إلى الإمام الهادي عليه السلام واحتياج الحكّام في العراق إليه عليه السلام.

وأخيرًا حمل الإمام الهادي عليه السلام إلى العراق ..

وعندما وصل إلى سامراء ـ عاصمة الحكومة العباسية آنذاك ـ ونزل داره التي أعدت له، أخذا أتباعه يتّصلون به سرًّا وعلانية، وخاصة الإيرانيين .. حتى كثرت التقارير عن الإمام الهادي عليه السلام لدى المتوكل.

وكانت تلك التقارير تتضمن ما يلي:

١. الإشارة إلى وجود رسائل سياسية وأسلحة في دار الإمام الهادي عليه السلام جاءته من أتباعه في (قم).

٢. الإشارة إلى أن الإمام الهادي عليه السلام مصمم على الثورة والإطاحة بالحكومة العباسية القائمة.

مما دفع المتوكل إلى أن يصدر أمره إلى شرطته من الأتراك بالهجوم على دار الإمام الهادي عليه السلام ليلاً، وتحريها، وجلب الإمام الهادي عليه السلام على الوضعية التي هو فيها حين هجومهم.

إلا أنه حينما هجم الشرطة على دار الإمام الهادي عليه السلام لم يجدوا شيئًا مما ذكرته التقارير، ووجدوا الإمام الهادي عليه السلام في وضعية عبادة، مفترشًا الرمل والحصى، قارئًا للقرآن الكريم. واستمرّت مواقف الحكّام العباسيين من الإمام الهادي عليه السلام بين الضغط والتهديد والإرهاب، وبين الإكرام والإعزاز والتبجيل حسبما تتطلبه الظروف، حتى توفي عليه السلام .

وفاته

توفي الإمام الهادي عليه السلام في سامرّاء عام ٢٥٤ هـ.

من توجيهاته

١. المراء[١] يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة[٢] وأقل ما فيه: أن يكون فيه المغالبة، والمغالبة أس أسباب القطيعة.
٢. إن الظالم الحالم يكاد أن يعفي على ظلمه بحلمه، وإن المحق السفيه يكاد أن يطفئ نور حقّه بسفهه.
٣. من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه.
٤. الدنيا سوق، ربح فيها قوم، وخسر آخرون.
٥. من اتقى الله يُتقى، وما أطاع الله يطاع.
٦. من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوقين، ومن أسخط الخالق فليبقن أن يحل به سخط[٣] المخلوقين.

---

(١) المراء: الجدال، النزاع.
(٢) العقدة الوثيقة: الرابطة القوية.
(٣) السخط: الغضب.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

هو: الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولادته

ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في المدينة المنوّرة سنة ٢٣٢ هـ.

إمامته

تولى الإمام العسكري عليه السلام شؤون الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤ هـ.

وكانت حركة أتباع أهل البيت عليهم السلام أيام إمامته قوية وواسعة وذات خطر على الدولة العباسية، مما دفعت المتوكل إلى أن يسجن الإمام العسكري عليه السلام بسبب التقارير التي كانت ترفع عن الإمام العسكري عليه السلام وشاية ونكاية.

وفي أيام إمامة العسكريين (الهادي والعسكري عليهما السلام) نكّل العباسيون بأتباعهما التنكيل الفظيع، وتتبعوهم بالقتل والحبس، ومختلف أساليب الردع والإرهاب.

وفاته

توفي الإمام العسكري عليه السلام في سامراء عام ٢٦٠ هـ

من توجيهاته

١. من وصية له عليه السلام إلى شيعته: «إن الرجل منكم إذا ورع[١] في دينه، وصدق في حديثه، وأدى الأمانة، وحَسُنَ خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعي، فيسرّني ذلك.

اتقوا الله، وكونوا زينًا ولا تكونوا شينًا، جرُّوا إلينا كل مودّة، وادفعوا عنّا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك، لنا حق في كتاب الله[٢]، وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وتطهير من الله[٣]، لا يدّعيه أحد غيرنا إلا كذّاب».

٢. لا تمارِ[٤] فيذهب بهاؤك[٥]، ولا تمازح فيجترأ عليك.

٣. من الفواقر[٦] التي تقصم[٧] الظهر: جار إن رأى حسنة أطفأها، وإن رأى سيئة أفشاها.

٤. بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهدًا[٨]، ويأكلها غائبًا.

---

(١) الورع: الاستقامة.

(٢) حق أهل البيت عليهم السلام في القرآن هو: وجوب مودّة أهل البيت عليهم السلام على المسلمين، الذي صرّح به الآية الكريمة: ﴿قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣).

(٣) تطهير من الله: عني العصمة التي صرّحت بها الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

(٤) لا تمارِ: لا تجادل.

(٥) البهاء ـ هنا ـ: نظرة الاحترام والتقدير.

(٦) الفواقر: الحوادث الشداد.

(٧) تقصم: تكسر.

(٨) شاهدًا: حاضرًا.

الإمام محمد المهدي عليه السلام

هو: محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

ولادته

ولد الإمام محمد المهدي عليه السلام في سامرّاء سنة ٢٥٥ هـ.

إمامته

تولى الإمام المهدي عليه السلام شؤون الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام العسكري سنة ٢٦٠ هـ.

والإمام المهدي عليه السلام هو المصلح المنتظر، الذي بشرت بفكرته (فكرة المصلح المنتظر) الأديان الإلهية، والذي وعد بنهضته المباركة التي تملأ الأرض قسطًا وعدلاً، النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام .

وكان قد أخفي أمره منذ ولادته، خوفًا عليه من الحكومة العباسية، حيث كانت تطلبه لتقتله حذرًا من قيامه بتطبيق فكرته الإصلاحية التي من أولى أهدافها القضاء على الحكومات الجائرة. وللإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ غيبتان: صغرى وكبرى.

الغيبة الصغرى

ابتدأت الغيبة الصغرى بولادة الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ عام ٢٥٥ هـ وانتهت بوفاة السفير الرابع من سفراء الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ عام ٣٢٨ هـ.

وكان الإمام المهدي عليه السلام خلال الغيبة الصغرى يتّصل بأتباعه اتصالاً سريًا ودقيقًا، عن طريق سفرائه، وهم:

١. عثمان بن سعيد العمري.
٢. محمد بن عثمان العمري.
٣. الحسين بن روح النوبختي.
٤. علي بن محمد السمري.

الغيبة الكبرى

ابتدأت الغيبة الكبرى بوفاة السفير الرابع عام ٣٢٨ هـ. وستبقى مستمرّة حتّى يأذن الله تعالى.

وجود الإمام المهدي

إن وجود الإمام المهدي عليه السلام معمرًا هذه المدّة الطويلة من السنين يعود إلى إرادة الله تعالى.

وذلك: أن الله تعالى لما حمّل الإمام المهدي عليه السلام رسالته الإلهية (وهي إصلاح العالم كله)، وألزمه بمسؤولية القيام بتأديتها، هو الذي يعطيه البقاء ويمنحه العمر الطويل كما أعطى سبحانه النبي نوحًا عليه السلام عمرًا طويلاً، أتمّ فيه تأدية رسالته الإلهية حيث عاش ٩٥٠ عامًا يدعو قومه كما جاء في القرآن الكريم، ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[1].

---

(١) العنكبوت: ١٤.

والعلم الحديث يثبت أن باستطاعة الإنسان أن يعيش آلاف السنين، فقد قام جماعة من العلماء بإجراء عدّة تجارب على أجزاء لأنواع مختلفة من النبات والحيوان والإنسان.

وكان من بين تلك التجارب ما أجريت على قطع من أعصاب الإنسان وعضلاته وقلبه وجلده وكليتيه، فلوحظ أن هذه الأجزاء:

١. تبقى حية نامية ما دام الغذاء اللازم موفورًا لها، وما دامت لم يعرض لها عارض خارجي.
٢. أن خلاياها تنمو وتتكاثر وفق ما يقدّم لها من غذاء.
٣. لا تأثير للزمن فيها ـ أي لا تشيخ ولا تضعف بمرور الزمن، بل لا يبدو عليها أقل أثر للشيخوخة، بل تنمو وتتكاثر هذه السنة، كما كانت تنمو وتتكاثر في السنة الماضية وما قبلها من السنين.

وتدل الظواهر كلها على أنها ستبقى حية نامية ما دام الباحثون صابرين على مراقبتها وتقديم الغذاء الكافي لها[١].

دعاء الانتظار

وهو الدعاء الذي يقرأ طلبًا لظهور الإمام المهدي عليه السلام:

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

---

(١) للاستزادة يراجع: المؤلف، في انتظار الإمام، فصل (وجود الإمام).

المعاد

عقيدة المعاد

هي الإيمان بالحياة الأخرى بعد الموت.

دليل المعاد

يستدلّ على المعاد بالأدلة التالية:

١ . بـ «القرآن الكريم»:

في أمثال الآيات الآتية:

- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ؟﴾[١].
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى؟﴾[٢].

وفي الآيات التي تنكر على المنكرين للمعاد واليوم الآخر، كالآيات التالية:

- ﴿وَقَالُواْ: إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ *
وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ ..
قَالَ: أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ؟
قَالُواْ: بَلَى وَرَبِّنَا.
قَالَ: فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٣].

---

(١) المؤمنون: ١١٥.

(٢) القيامة: ٣٦.

(٣) الأنعام: ٢٩ ـ ٣٠.

- ﴿فَسَيَقُولُونَ: مَن يُعِيدُنَا؟
قُلِ: الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[١].

٢. بـ «السنة الشريفة» في أحاديث كثيرة متواترة.

٣. بـ «إجماع المسلمين» كافة.

٤. بإيمان «العقل» بالمعاد، لأن المعاد هو يوم الجزاء الذي يثاب فيه الإنسان أو يعاقب على أعماله في هذه الدنيا.

وذلك لأن الله تعالى لم يجاز على أعمال الإنسان في هذه الحياة الدنيا، فلا بدَّ وأن يكون الجزاء في الحياة الآخرة.

المراحل التي يمرّ بها الإنسان في حياته الثانية

إن الإنسان يمر منذ الموت حتى حياة الخلود في الآخرة بمراحل هي:

١. مرحلة الموت

وهي انتهاء حياة الإنسان في هذه الدنيا ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[٢]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٣].

٢. مرحلة البعث من القبور

وهي إخراج الناس أحياء ـ مرة ثانية ـ من القبور للحشر فالحساب .. ﴿وَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[٤].

---

(١) الإسراء: ٥١.
(٢) آل عمران: ١٨٥.
(٣) الرحمن: ٢٦.
(٤) الحج: ٧.

٣. مرحلة الحشر

وهي جمع الناس للحساب .. ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾[١].

٤. مرحلة الحساب

وهي عرض الناس للحساب على أعمالهم في هذه الدنيا لينالوا بعده جزاء أعمالهم .. ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٢].

٥. مرحلة الجزاء

وهي إثابة المطيع ومعاقبة المخالف .. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٣].

---

(١) الأنعام: ٢٢.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) الزلزلة: ٧ ـ ٨.

سورة الزلزلة

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنسَانُ: مَا لَهَا؟ * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا: * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

المفردات

الكلمة	معناها
إذا زلزلت الأرض	إذا حركت تحريكًا عنيفًا لقيام ساعة الحشر.
أثقالها	كنوزها وما فيها من الدفائن والأموات.
أوحى لها	أمرها.
يصدر الناس أشتاتًا	يخرج الناس من قبورهم إلى المحشر متفرقين.
مثقال ذرّة	مثال يستعمل للغاية في الصغر والقلّة.

الشرح

اشتملت هذه السورة الكريمة على عرض للأدوار التي يمر بها الإنسان منذ ساعة البعث حتى نهاية الحساب، وهي:

١. دور اضطراب الأرض لتخرج أثقالها من أموات وغيرهم.
٢. دور تساؤل الإنسان ـ باستغراب وخوف ـ عمّا حدث للأرض فزلزلت هذا الزلزال.
٣. دور جواب التساؤل: بأنه أمر الله تعالى.
٤. دور خروج الناس متفرّقين إلى المحشر، لينالوا نتائج أعمالهم في هذه الدنيا.
٥. دور توزيع النتائج: للخير خير، وللشر شر، وبعدالة تامة.

سورة القارعة

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ * فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

المفردات

الكلمة	معناها
القارعة	القيامة
أمه	مأواه ومسكنه.
هاوية	الطبقة السابعة من النار.
وما أدراك ما القارعة	أسلوب تعجب يقصد به إظهار هول القيامة.
الفراش المبثوث	الحشرات المنتشرة حول الضوء.
العهن المنفوش	الصوف الملوّن المنشور.
ثقلت موازينه	رجحت حسناته.
عيشة راضية	نعيم مقبول.
خفّت موازينه	رجحت سيئاته.

الشرح

تضمنت هذه السورة الكريمة:

١. بيانًا لعظمة يوم القيامة وضخامة هوله:

٢. وعرضًا:

أ. لحال الناس في ذلك اليوم، حيث يتهافتون تهافت الفراش على الضوء، كأنهم فاقدو الشعور، لخطورة الموقف وجسامته.

ب. ولحال الجبال ـ وهي أضخم محتويات الأرض ثقلاً وتماسكًا مما كان يشاهده الناس ويعايشونه ـ حيث تتحوّل إلى ما يشابه الصوف الملوّن المندوف والمنشور تفريقًا بالأصابع، في تناثره وتفرّقه وخفته.

٣. وتحديدًا للنهاية الحاسمة:

النعيم لأهل الحسنات الراجحة في الميزان.

والجحيم لأهل السيئات الراجحة في الميزان.

وأي جحيم هو؟!

إنه نار حامية.

ملحق

حوار مع العلاّمة الدكتور عبد الهادي الفضلي

حول تحديث نظام الدراسة الدينية(*)

أعدَّ وأجرى الحوار: حسين منصور الشيخ

حينما يُذكر العلاّمة الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي ـ حفظه الله ـ لا بدَّ وأن يذكر التجديد في المناهج ـ الحوزوية منها خاصّة ـ، وحينما يذكر التجديد في المناهج لازم ذلك أن يُذكر العلاّمة الفضلي. هذا التلازم ولّدته فاعلية حضور الشيخ الدكتور في مسألة التجديد الحوزوي منهجًا وأسلوبًا؛ وذلك من خلال ممارسته لعملية التجديد المنهجي في جانبه النظري والتطبيقي.

فالشيخ الفضلي من أبرز الداعين الأوائل إلى تطوير النظام الدراسي الحوزوي أو نظام الدراسة الدينية بشِكْلٍ عام، يضاف إلى ذلك أنه من أوائل من خاضوا هذه التجربة في النجف الأشرف، وذلك من خلال:

- دراسته ـ وبعد ذلك تدريسه ـ في كلية الفقه في النجف الأشرف، الكلية التي كانت تجربة رائدة في تحديث الدراسة الحوزوية وتحويلها إلى دراسة نظامية أكاديمية.

(*) نشر في مجلّة الكلمة في عددها ٥٥ السنة الرابعة عشرة عن ربيع ٢٠٠٧ م/ ١٤٢٨ هـ.

- تأليفه المقرّرات الدراسية الحوزوية، التي اعتمدت في كثير من المعاهد الدينية وحلقات الدراسة الحوزوية بديلاً للكتب القديمة.

وكان الشيخ الفضلي رائدًا في تأليفه للمقرّرات الدراسية، من حيث تعدّد العلوم التي تناولتها مؤلّفاته، وكذلك من حيث الأسلوب المنهجي الذي تميّز به، وفاق به من جايله في هذا الدرب.

ومن باب هذه الريادة ولما يتمتّع به سماحة العلاّمة من بعد وشمولية في الرؤية للماضي والحاضر الإسلامي وحضور هذه الرؤية في مؤلَّفاته الدراسية، التي كانت المنطلق الذي ينطلق منه سماحته في وضع وتقسيم هذه المقرَّرات، رأينا أن يكون لنا معه هذا الحوار، الذي قسّمناه إلى قسمين: نظري، نحاوره فيه عن التجديد في المناهج ورؤيته في هذه المسألة. وآخر تطبيقي، نحاول فيه أن نسلّط الضوء على تجربتين علميتين للشيخ الفضلي في تأليف المقرّرات الدراسية، تمثلان التجربتين الأوليين للشيخ، وهما: كتاب «التربية الدينية» و«خلاصة المنطق»

وذلك ليدرك القارئ مدى البعد التجديدي الذي يضيفه العلاّمة الدكتور الفضلي في تأليفه للمقرّر الدراسي من خلال هذين النموذجين.

وهذا هو نص الحوار:

القسم الأول «النظري»

التساؤلات المنهجية الأولى

دمجتم بين الدراسة الحوزوية في صغركم والدراسة النظامية، هل كان لديكم بعض الملاحظات على المقرّرات الحوزوية في ذلك الوقت؟ وهل يمكن أن تذكروا لنا بعض هذه الملاحظات؟

في الدراسة الحوزوية أول ما نبدأ بدراسة المقدّمة الآجرومية في النحو، وفي دراسة المقدمة نبدأ بإعراب البسملة، فنتعلّم ـ ولمّا نتعرّف على مفردات علم النحو بَعْدُ باعتبار هذه المقدّمة أول ما يدرس في النحو ـ أن الباء حرف جرّ، و«اسم»: اسم مجرور وهو مضاف، ولفظ الجلالة مضاف إليه، الرحمن: صفة

أولى، الرحيم: صفة ثانية وهكذا ... وربما كانت هذه أول مفارقة يصطدم بها طالب الحوزة.

هذا بالنسبة للنحو، وعندما ندرس المنطق، حيث كنّا ندرس كتاب حاشية ملاّ عبد الله، كانت كثيرًا ما تمرُّ علينا عبارات مثل: «إشكال حول التعبير» و«إشكال أمكنت» و«إشكال امتنعت» ـ حسب تعبير المناطقة، ونحن لما نعرف بعدُ ما المقصود بِـ «أمكنت» و«امتنعت»، ومن يدرس هذا المقرّر وهو لا يزال مبتدئًا لا يعرف بهذه الإشكالات ولا كيفية حلّها.

وشيئًا فشيئًا لاحظنا أن المقرّرات الحوزوية ـ وخصوصًا ما هو للمبتدئ منها ـ لا تتمشّى مع مدارك الطالب التي تحتاج إلى تدرّج في إعطاء المعلومة ومواد العلم.

هل كان لهذه الملاحظات دور في أن تقرّروا ـ مبكرًا ـ التفكير في إيجاد البديل؟

قبل محاولاتي في إيجاد مقرّرات بديلة كان هناك مَنْ بَدَأَ بمحاولات جادّة في طرح البديل، فالحركة العلمية التجديدية في النجف كانت واعية لمسألة ضرورة تغيير المناهج، وكان هناك من يعمل بهذا الاتجاه، فالشيخ المظفّر وضع مقرّرًا لعلم المنطق وآخر في أصول الفقه، وآخرون كذلك كانت لهم بعض المحاولات.

التجديد موهبة ذاتية بالدرجة الأولى

هل يمكن القول بأن لدراستكم النظامية ومن ثَم التحاقكم بالتدريس النظامي في الثانويات وكلية الفقه دور في المفاضلة بين القديم والجديد؟

مسألة التجديد جزء مهم منها يتعلّق بشخصية الإنسان نفسه وما يمتلكه من موهبة، وإلاَّ فهناك الكثيرون ممن دمجوا بين الدراستين الحوزوية والنظامية ولم يفكّروا في مسألة التغيير.

وأودّ أن أشير إلى أني من البدايات كنت أتأمل الآية القرآنية: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ؟!**﴾[1] التي يمكن اعتبارها قانونًا وسنّةً إلهية، حيث تفيد هذه الآية أن هناك خطًّا وهدفًا يمشي نحوه الإنسان، ولا يوجد ما هو عبثي في هذه الحياة، بل هناك ما يتوخّاه الإنسان من حياته التي يعيشها، وهذه الغاية ـ بالاستفادة من النصوص الأخرى ـ تكون لمصلحة الإنسان، وهذا أمر جعلني أضع أمامي هذا السؤال في كل كتاب أدرسه وكل موضوع وباب فيه، بحيث أضع نصب عيني الفائدة من دراسته وموقع هذه الفائدة داخل العلم وفي كل باب منه.

وتجد هذه النقطة واضحة جدًّا في كتاب خلاصة المنطق، حيث كنتُ أكتب في نهاية كل موضوع الفائدة من البحث. وهذه النقطة كانت مفقودة في المقرّرات القديمة، وللأسف أن هذا الأمر لا زال قائمًا في كثير من المقرّرات الدراسية التي تظهر مؤخّرًا، فطالب الحوزة يبدأ دراسته الحوزوية بغرض الدراسة، ولا تجد لديه هدفًا وراء ذلك، غير أن بعضهم يتّخذها كأنها أمر وراثي، إذ يكون ابنًا لأحد طلاّب العلم، فيتبع والده ويرث عنه مسجده ودوره الاجتماعي من تزويج وتطليق ووعظ وإرشاد تقليديين. من غير أن يدرك هؤلاء أن الهدف من الدراسة الحوزوية هو التبليغ، الأمر الذي يقتضي أن يعي كل طالب أهمية هذه النقطة والآليات الصحيحة لتحقيق هذا الهدف.

العوامل البيئية المساعدة في مسألة التجديد

يفهم من هذا أن العوامل التي ساعدت في اتجاهكم لتأليف المقرّرات ترجع في جانب كبير منها لشخصيتكم وكذلك لتوجهكم للتدريس في كلية الفقه، هل نستطيع أن نقول بأن تلمذتكم على الشيخ المظفّر كان لها دور أيضًا؟

---

(١) المؤمنون: ١١٥.

ربما يكون العامل المساعد في أن أتوجّه أنا وغيري للاهتمام بمسألة التجديد في الحوزة هو الجوّ العام في النجف في ذلك الوقت، حيث كان هناك عوامل كثيرة تحفّز بهذا الاتجاه، فهناك من يعملون ويحاولون تطوير الدراسة أو الوضع الدراسي الديني في النجف حتّى يصبح أكثر فائدة، فكان من هؤلاء: الشيخ عبد الحسين الرشتي ﵀. والشيخ عبد الحسين الحلي كذلك. ومنهم أيضًا الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الذي أنشأ مدرسة نظامية لتدريس المقرّرات الحوزوية، ولكن لم يكتب لها النجاح. وكان منهم كذلك السيد محسن الحكيم.

وكان على خطاهم الشيخ محمد رضا المظفّر، الذي خطا خطوات جادّة في هذا الاتجاه، فأنشأ جمعية منتدى النشر، وفتح مدارس تابعة لها، وأنشأ كلية الفقه.

في هذا الجوّ الذي عاصرتُ فيه أكثر من تجربة للتجديد نشأتُ، كما أني التحقتُ مع بعض زملائي في الحوزة بكلية الفقه التي أنشأها الشيخ المظفّر، حيث درستُ فيها الموادّ الإضافية التي لم نكن ندرسها في الحوزة، فكنتُ مع بقية زملائي أول دفعة نتخرّج في هذه الكلية، ثم مارستُ التدريس فيها ورئاسة قسم اللغة العربية، وفي هذه الظروف أمكنني أن أفاضل بين نمط الدراسة النظامية الجامعية والدراسة الحرّة الحوزوية حيث يجد الإنسان بعض ما هو إيجابي وما هو سلبي في كل من هذين النمطين من الدراسة.

ما أول ما ألّفه الشيخ من مؤلفات دراسية؟

التربية الدينية.

وأين اعتمد كمقرّر دراسي؟

في متوسطات جمعية منتدى النشر.

ومتى كان ذلك؟

في الستينات الميلادية، حيث أذكر أني ألفته بعد سقوط الملكية في العراق، أي بعد انقلاب عام ١٩٥٨ م.

كلية الفقه البيئة الأولى للتجديد الحوزوي

لم يكن الشيخ الفضلي المنتمي الوحيد لكلية الفقه، هل كان للمنتمين لهذه الكلية دور مشابه لدوره في إيجاد المناهج الجديدة؟

لم يكن هناك من أساتذة الكلية وطلابها مَن اتجه نحو تأليف المقرّرات والمناهج الدراسية باستثناء السيد محمد تقي الحكيم والشيخ المظفر، ثم حاولتُ أن أتبع خطاهما في ذلك، ولا أذكر من مجايليَّ من طلاب الكلية وأساتذتها ـ بعد ذلك ـ من خطى في هذا الاتجاه.

ولكن هناك من استفاد من جوّ التطوير السائد في النجف الأشرف في تلك الفترة ومن التحاقه بكلية الفقه، ولكن ليس في جانب التأليف، وهو الشيخ الوائلي رحمه الله حيث طوّر منبره، واستفاد من الدراسة الحوزوية والجامعية بحيث شكّل منبرُهُ مدرسة خطابية متميّزة، وهذا واضح عندما تستمع إلى مجالسه ومحاضراته، فترى الجانب الجامعي حاضرًا فيها بقوّة كما تجد الجانب الحوزوي حاضرًا أيضًا.

هل هناك أساتذة في كلية الفقه بحيث يكونون هم الذين أبدعوا في مسألة تطوير المناهج ثمّ جاء مَن يكمل بعدهم المسير؟

السيد محمد تقي الحكيم كان أستاذًا في الحوزة قبل أن يكون أستاذًا في الكلية، ولكن عندما أنشأ الشيخ المظفّر كلية الفقه قام (الشيخ المظفّر) بخطوات عملية بإيجاد المناهج البديلة فألّف المنطق وأصول الفقه، ومشى على خطاه وأكمل مشروعه في تأليف كتاب أصول الفقه السيدُ محمد تقي الحكيم فألف الأصول العامّة في الفقه المقارن، ليكمل الحلقة التي بدأها الشيخ المظفّر.

وهل تضعون نفسكم في هذه الحلقة؟

إلى حدٍّ مّا حاولتُ أن أنتمي إليها ولكني حاولتُ أن أبدأ مع الطالب من البداية، فألفت خلاصة المنطق ليكون مقدّمة لكتاب المنطق للشيخ المظفّر، ومبادئ أصول الفقه كمقدّمة لأصول فقه المظفّر أيضًا.

مؤلفات العلامة الفضلي ومحاور التجديد

مما تتميّز به كتابات الشيخ التجديدُ في هيكلة العلم وفي مضمونه .. كيف تحصّلتم على هذا الوعي التجديدي في ذلك الوقت؟

هذا يأتي مع الممارسة، فقد ذكرتُ لك أني أتبع في مسألة تدوين كتب المقرَّرات الدراسية طريقة أبدأ فيها في كل علم وفي كل باب بالتساؤل التالي: لماذا أدرس هذا العلم؟ ولماذا وُجِدَ هذا الباب في هذا العلم؟

وفي هذا الجانب أتذكَّر ـ عندما طلبت مني الوالدة ـ رحمها الله ـ أن أدرس المقدّمة الآجرومية عند والدي ﵀، فامتثلتُ لطلبها، بدأنا دراسة المقدّمة الآجرومية، وفي هذه المقدّمة كنّا نبدأ بدراسة علم النحو مباشرة دون وعي منّا أو من قبل المقرَّر الذي كنّا ندرسه للغاية من دراسة هذا المقرَّر أو هذا الكتاب بالذات. وهذا أمر ينطبق على مادّة المنطق أيضًا، التي كان يلقننا أساتذة الحوزة بأن الإنسان يدرس هذه المادّة لأنها تعصم الفكر من الوقوع في الخطأ، وهذا أمر لم يقنعنا، لأنّنا كنّا ندرسها وغيرنا يدرسها، ونقع في الأخطاء، فهذا جعلني أفكّر في السبب الحقيقي لوضع هذا العلم ودراسته في الحوزة بالذات.

وهكذا عندما بدأتُ ألتحق بالدراسة الحوزوية لم يكن أحد من أساتذة الحوزة يوضح لنا سبب اختيار هذه المادّة في سلك الدراسة الحوزوية، أو سبب وضع باب معيّن في كتاب مقرَّر، وإنما نبدأ مباشرة في دراسة العلم.

فكنتُ أحاول فهم السبب الذي من أجله ندرس كل مادّة كاجتهاد مني.

وربما تكون هذه التساؤلات وهذا التفكير هو الذي دفعني لمحاولة التجديد في المناهج الدراسية، بالإضافة إلى أنني عشتُ في الوقت الذي كانت النجف تعيش موجة من دعوى تجديد المناهج وأسلوب الدراسة الحوزوية.

ولكن الكتابة المنهجية بهذه الطريقة المتقدّمة لا بدَّ وأن تسبقها بدايات جيدة؟

تلمذتُ على السيد محمد تقي الحكيم، وقد كان يتمتّع بكتابة منهجية متميّزة، مع أنه لم يدرس بالجامعة ولا حتّى في مدارس نظامية، بل درس كل علومه بالحوزة، ولكنه كان موهوبًا في خصوص ترتيب العلم والمنهج، أي أنه موهوب من ناحية المنهجية، وكان قد قرأ في الكتب الحديثة التي تبحث في كتابة المناهج، وكذلك اطّلع على نماذج من تلك الكتب الحديثة الممنهجة والمكتوبة بالطريقة العلمية الحديثة، واطلاعه هذا صقل موهبته التي كان يتمتّع بها، وقد أجد نفسي متوفّرًا على شيء من هذه الموهبة التي أشرتُ إليها عند أستاذنا السيد التقي الحكيم.

الشمولية شرط أساس في المقرَر الدراسي

في كتبكم المنهجية تحاولون ألا تقصوا رأيًا دون آخر؟

في الكتب الدراسية ـ بالذات ـ من المفترض بالكاتب لهذه المقرَّرات أن لا يركّز على ذاته. نعم، من المفترض أن تبرز شخصيته العلمية في الكتاب، ولكن ليس عن طريق التركيز على ذاته، بل عن طريق ما يمتلك من علم وموهبة في إبراز الفكرة، فأصحاب أي علم ـ وإن كان المؤلِّف يختلف معهم ـ كلهم ساهموا في إبراز أفكاره وعناصره وتقسيماته، فلا يصحّ من المؤلِّف ـ لأنه لا يرتضي رأيًا معينًا ـ أن يقصي هذا الرأي أو ذاك، فقد يأتي من يرى صوابية ما يرى المؤلف خطأه. فالمفترض بالكتب العلمية التعليمية ألاَّ تبخس حق أحد، لتتيح للطالب حين دراسته أن يدرس كل ما يحيط بالفكرة.

ما تذكرونه ربما لا ينكره أحد، وقد يتّخذه المؤلف كقرار داخلي، ولكن محيطه قد لا يساعد على ذلك إمّا من ناحية معلوماتية بحيث تقل أو تشحّ فيه المصادر لجميع الأطراف حول القضية التي يعالجها هذا المؤلف، أو بسبب حالة عصبية يعيشها ذلك الجوّ إزاء جهة معينة، فكيف توفقتم للوصول إلى هذه النقطة؟

مما يؤسف له أن أغلب جامعاتنا العربية تفتقد مقرَّراتُها ومراجعُها الناحية التربوية، فلا تربي الطالب علميًّا، بعكس الجامعات في الغرب، حيث تهتمّ بتنشئة الطالب وتربيته علميًّا بحيث تهيئ ذهنيته بطريقة علمية. فالطالب الذي ينشأ في الجوّ العلمي يدرك أن الشمولية في المعرفة مطلوبة في مجال العلم والدراسة.

ولكنكم شيخنا العزيز لم تعيشوا مثل هذا الجوّ أيضًا؟

ربما أكون قد استفدتُ هذه النقطة من كتابات الآخرين، فحينما تقرأ كتابات الألمان ـ مثلاً ـ في علم اللغة تدرك أن هؤلاء علماء لغة حقيقة، وتدرك أنهم علماء ليسوا لأنفسهم، وليسوا للألمان فقط، بل للعالم أجمع، وهكذا هم البقية.

لذلك حينما تحاول أن تعرض العلم الذي يمثِّل طائفتك أو أمتك عليك أن تعرضه ليس كعلم فرد أو طائفة أو أن يكون موجَّهًا لفرد أو طائفة أو فئة وإنما تعرضه بالمقارنة مع ما قدَّم الآخرون في المجال نفسه. وهذا ما حاولت إبرازه في كثير من المؤلَّفات التي قمتُ بإعدادها، مثل مبادئ علم الفقه ودروس في فقه الإمامية.

ولكن كمبتدئ في التأليف والبحث العلمي ألا يكون هناك صعوبة في الحصول على جميع الآراء، فهكذا بحث بهذه الشروط التي تضعونها متعب ومضنٍ للباحث والمؤلِّف؟

قد يصعب على المبتدئ ذلك إذا كان ما يبحث فيه من موضوعات كُتِبَ فيها بكثرة وتعدَّدتْ حولها الآراء لدرجة كبيرة، ولكن إذا كانت المسألة تحتوي على ثلاثة أو أربعة آراء أو أكثر بقليل فهذا بالإمكان إدراكه وتحصيله من خلال البحث.

وهذا موجود في الكتب القانونية حيث تتعدّد الأوجه والآراء والتحليلات القانونية، فالقانون أكثر ما يعتمد فيه على مسألة الحفظ، باعتبار كثرة المواد القانونية وتفريعاتها وفقراتها.

تجارب التحديث الحوزوي ما لها وما عليها

ظهرت في الآونة الأخيرة محاولات للتجديد، مثل محاولات الشيخ جعفر السبحاني والشيخ باقر الأيرواني والمركز العالمي للدّراسات الإسلامية في قم المقدّسة. كيف تقيّمون هذه التجارب؟ وما هي أبرز المؤاخذات التي تجدونها على هكذا تجربة؟

كنتُ قد كتبتُ عن هذه التجربة، وقد نشر ذلك في حوار مع مجلّة فقه أهل البيت الصادرة عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية في العدد (٣٥)، وما ذكرتُه هناك ألخِّصُه هنا، فأقول:

التفكير في التجديد ـ بحدّ ذاته ـ أمر جيد، وأن يُقدِم الإنسان على تحقيق هذا الأمر ويحاول، فهذه خطوة ثانية إلى الأمام. ولكن الأمر الذي أرى أن ما يفتقده الكثيرون هو الاقتصار على ما لديهم في الحوزة، بينما من المفترض أن ينفتحوا على المؤسسات الأخرى والمؤلّفين الآخرين من الاتجاهات الأخرى ويروا ما لديهم ويحاولوا أن يستفيدوا منهم، لأن الطريقة الحوزوية هي طريقة موروثة لأكثر من ٥٠٠ عام، بينما نحن نحتاج الآن إلى الطرق والأساليب الحديثة للتعبير، ولذلك فإن أهم ما يؤخذ على هذه التجارب أنها تفتقد الاستفادة من التجارب الحديثة في تطوير المناهج الحوزوية.

وهل ترون مَنْ بدأ يخطو هذه الخطوة؟

بشِكْل جيّد لا أرى.

غالبًا ما تكون محاولات التجديد هذه قائمة على مجموعة من الأفراد، ما العائق أن تنشأ مؤسسات ترعى هذه المشاريع؟

هذا يتحقَّق فيما لو حاولنا أن نطوّر في الحوزة، أو ننشئ جامعات إسلامية (أي جامعات تتبنّى الخطّ الإسلامي)، أما الحوزة بوضعها الحالي لا تستطيع أن تعطي بالشِّكْل المؤسسي المطلوب، وستبقى هذه الجهود تتركّز على الأفراد.

ولكن في الاتجاه الآخر هناك محاولات لفتح جامعات وكليات في مدينتي النجف الأشرف وقم المقدّسة، ونتمنّى لها أن تتطوّر مع الزمن، لأن ذلك سيفسح المجال لظهور مقرَّرات حديثة تتناسب والجوّ الجامعي الأكاديمي.

ولكن الفترة التي بدأت معها محاولات التجديد إلى الآن فترة طويلة وإلى الآن لم يظهر ذلك المشروع المتكامل، لماذا؟

هذا أمر طبيعي، لأن مجتمعاتنا مجتمعات بدائية، والتغيير فيها بطيء وصعب جدًّا، بخلاف المجتمعات المتحضِّرَة حيث التغيير فيها سهل وسريع، لأن الأفراد فيها يفكِّرون، بحيث لو دعا شخص إلى فكرة تجديدية معينة فإن أفراد تلك المجتمعات يفكرون في الأسباب الداعية للتغيير الذي يدعو إليه هذا الشخص، فإذا رأوا فيه الفائدة قبلوه وأيدوه في هذه الدعوة، بينما لا يحتكم الأفراد في مجتمعاتنا إلى عنصر التفكير المتواصل، بل يندفعون خلف أشخاص وقيادات ويتعصّبون لها دون تفكير متروٍّ، فهذا هو السبب.

المختصرات الدراسية

في كتابتكم للمقرَّرات الدراسية تميلون كثيرًا لكتابة المختصرات الدراسية، لماذا؟

في البدء يحتاج الطالب إلى هذه المختصرات، لأن غالبية هذه المقرَّرات التي دوِّنت كمختصرات هي المقرَّرات التأسيسية في كل مادّة، فهي أول ما يدرسه الطالب في هذه العلوم.

ومن المفترض أن تكون هذه البدايات عبارة عن مختصرات دراسية، تكون حلقة في سلسلة المقرّرات التي تراعي مسألة التدرّج في إعطاء الطالب للمعلومة، إلى أن يصل الطالب إلى مرحلة التخصُّص حيث بالإمكان التوسُّع.

مواصفات المقرَر الدراسي مؤلفًا ومؤلفًا

ما هي الشروط التي تشترطونها في مؤلِّف المقرَّر الراسي؟

بالدرجة الأولى لا بدَّ أن يكون موهوبًا في وضع المقرَّر الدراسي وفق المنهج العلمي الحديث الذي يتدرَّج فيه مع الطالب من المعلوم إلى المجهول وفق ترتيب منطقي متسلسل.

وثانيًا: أن يكون لديه اطلاع عملي على المناهج الأخرى حتى يستفيد من الجيّد منها.

وثالثًا: أن ينظر نظرة إلى المستقبل لا إلى الحاضر .. أي أن تكون نظرته أبعد من الحاضر.

وما هي الشروط المطلوبة في المقرَّر الدراسي؟

ما كرّرناه مرارًا خلال مناسبات عدّة، وهو أن يحتوي المنهج على عنصرَي: الجانب العلمي والجانب التربوي. والتربويون يذكرون أن المناهج يجب أن يتوزّع فيها هذان الجانبان (العلمي والتربوي) بما يتلاءم والمرحلة العمرية، وذلك على النحو التالي:

- في مقرَّرات المرحلة الابتدائية يركّز المؤلِّف فيها على العنصر التربوي أكثر، بنسبة ٧٥ ٪ لصالح الناحية التربوية، بينما يترك الـ ٢٥ ٪ لصالح الجانب العلمي.

- والمرحلة المتوسّطة يتوزّع هذان الجانبان النسبةَ بينهما، بحيث يكون لكل منهما ٥٠ ٪ من المقرّر.
- وفي الثانوية يكون للجانب العلمي ٧٥ ٪ والجانب التربوي ٢٥ ٪.
- بينما المقرّرات الجامعية يتركّز المنهج التعليمي فيها بحيث يكون الجانب العلمي فيه ١٠٠ ٪.

ربما لا يفهم القارئ مقصودكم من مصطلح «الجانب التربوي» في المقرَّر الدراسي، هل بالإمكان أن توضحوا لنا هذه النقطة كعنصر أساس في المنهج؟

سأضرب لذلك مثالاً، إذا أراد شخص أن يكتب مقرَّرًا في اللغة العربية، فالمطلوب منه في البداية ـ ليتدرّج مع الطالب ـ أن يلقّن الطالب تلقينًا، لأن ذهنيته لا تتحمّل أن تكون ذهنية علمية، لكن مع ذلك يحاول أن يحرّك هذا المقرَّر ذهنيته شيئًا فشيئًا عن طريق التمرينات في طيّات الكتاب، ويُراعي في هذه التمرينات أن تكوّن لدى الطالب الذهنية العلمية التي تحاكم ما يطرح لديه من مادة علمية.

فالمطلوب من كل الدراسات في المرحلة المتوسّطة والثانوية قبل الجامعة ـ وكذلك الأمر في الحوزة في مرحلتي المقدّمات والسطوح قبل البحث الخارج ـ أن تكون الغاية من المقرّر الدراسي فيها: تكوين الذهنية العلمية لدى الطالب.

وما يكوّن الذهنية العلمية لدى الطلاّب ليس العلم والمادّة العلمية فيه، وإنما التربية والممارسة، فالمدرّس يستطيع أن يعلّم الطالب فقهًا وأصولاً وعلم رجال وعلم حديث، ولكن هذه العلوم ـ منفردةً ـ لا تكوّن ـ داخل الحوزة مثلاً ـ المجتهد أو الفقيه دون أن يمارس هذه العلوم أثناء الدراسة من خلال كتابة البحث ـ مثلاً ـ أو من خلال الأسئلة التطبيقية في كل مادّة منها.

القسم الثاني «التطبيقي»

«التربية الدينية» .. البداية الأولى

ذكرتم أن أول ما ألفتم من مقرّرات دراسية كتاب «التربية الدينية»، كيف كانت هذه البداية؟

التربية الدينية يُعَدُّ أول ما ألفت من الكتب الدراسية، وقد كان ذلك استجابة لطلب من «جمعية منتدى النشر»، وذلك عندما بدأت هذه الجمعية بتأسيس مدارسها الابتدائية والمتوسطة الأهلية، حيث طلبوا مني أن أضع كتابًا للتربية الدينية للمرحلة المتوسطة.

فقد كانت الطريقة المتبعة والمألوفة في العراق بالنسبة للمدارس الأهلية ـ في ذلك الوقت ـ أن يدرس الطالب المقرر الوزاري للمادّة كاملاً بما في ذلك مادّة التربية الدينية، فإذا أرادت المدرسة الأهلية أن تضيف على هذا المقرّر فلها الحق في ذلك، فالمدارس التابعة لإخواننا أهل السنة لهم الحق في أن يدرسوا طلابهم مادّة التربية الدينية وَفْقَ مذهبهم السنّي، وكذلك المسيحيون لهم الحق في أن يدرسوا مادّة التربية الدينية وَفْق الديانة المسيحية .. وهكذا.

وتطبيقًا لهذا القرار أضافت مدارس جمعية منتدى النشر كتاب التربية الدينية الذي قمتُ بوضعه لهذه المادّة.

وقد أُخضع الكتاب للتجربة فترة من الزمن قمتُ خلالها بتدريسه، وسجلتُ ملاحظاتي التي ظهرت لي أثناء عملية التعليم، ثم قام معلمون آخرون بتدريسه وسجلوا عليه ملاحظاتهم، وبعد هذه التجربة قمتُ بصياغته صياغة نهائية وتعديله وَفْق الملاحظات التي ظهرت أثناء قيامنا بتدريسه.

وكانت أول طبعة منه بمساعدة من السيد محسن الحكيم ﳀ، وبعد ذلك تكررت طبعات الكتاب. فالسيد الحكيم ﳀ قام بطبعه عدّة مرات ليبعثه مع الرسالة العملية ككتاب مبسّط عن أصول الدين، حيث كانت الطريقة المتبعة قديمًا أن يُقدَّم للرسالة العملية بمقدّمة بسيطة عن أصول الدين، ليشرع الفقيه بعد ذلك بتناول فروع الدين التي تمثّل مجمل أبواب الفقه.

كما أن السيد الشهيد محمد باقر الصدر ﳀ ساهم في طبعه ونشره. وبعد ذلك أخذ الكتاب طريقه إلى النشر من قبل الناشرين دون علم أو متابعة من قبلي.

وفي الفترة التي اعتمد الكتاب كمقرّر دراسي في متوسطات جمعية منتدى النشر سلك طريقه أيضًا في حلقات الدراسة الحوزوية، بجانب ما يدرسه الطالب في مرحلة المقدّمات، حيث يدرسه كمقدّمة لدراسة علم الكلام فيما بعد.

على أي أساس تمّ اختياركم لكتابة وإعداد هذا المقرّر؟

ربما كان القائمون على جمعية منتدى النشر يقدّرون بأني الأكثر معرفة وخبرة في مسألة الكتابة المنهجية، لأن الكتاب الدراسي لا بدَّ أن يكون منهجيًّا يجمع بين عنصرَي التعليم والتربية، وعلى هذا الأساس تمّ اختياري، لما يعتقدونه من أني الأقدر على تحقيق هذين العنصرين.

ربما كان مسمّى «التربية الدينية» باعتباره مقرّرًا دراسيًّا في المدارس المتوسطة لهذه المادّة؟

فعلاً لقد اخترت هذا الاسم للكتاب باعتبار أن المادّة المقرّرة كانت بهذا المسمّى في ذلك الوقت.

وهل لازال الاسم صالحًا للمضمون باعتبار أن محتوى الكتاب في غالبيته حول العقيدة الإسلامية ومبادئها؟

ربما يكون تغيير الاسم الآن صعبًا، وذلك لانتشاره في الأوساط الدينية والحوزوية به، وأخذ يطبع عدّة مرّات في كثير منها دون علمٍ منّي، ممّا ساهم في انتشاره بشِكل واسع، كما أني لا أجد انحرافًا كبيرًا بين الاسم ومضمونه حتى يستدعي الأمر ضرورة تغيير الاسم.

هل كان كتاب «التربية الدينية» يدرّس في النجف الأشرف فقط أم امتدّ تدريسه في بقية مناطق العراق؟

كان مقرّرًا دراسيًّا ـ في البدء ـ لمدارس جمعية منتدى النشر فقط، ثم أخذ طلبة الحوزة المبتدئون دراسته كمقرّر من مقرّرات مرحلة المقدّمات بجانب

المقدّمة الآجرومية وغيرها من الكتب الأولى التي يدرسها طالب الحوزة في هذه المرحلة.

هذا بالإضافة إلى اعتماده في الدورات التي كانت تفتح للتعليم الديني في فترة الصيف في مكتبات السيد الحكيم المنتشرة في مناطق العراق، وذلك لسهولة تناول المادّة العلمية فيه بالمقارنة مع غيره من المقررات.

عندما اعتمدت جمعية منتدى النشر كتاب «التربية الدينية» كمقرّر لهذه المادّة وصغتموه صياغة نهائية بعد التعديلات التي أجريت عليه نتيجة إخضاعه للتجربة احتجتم لاستصدار إذن بطباعته، ألم تواجهكم بعض العقبات أثناء استصدار هذا الإذن؟

جميع المقرّرات الدراسية كانت تخضع للرقابة قبل الإذن بطباعتها، ولذلك أثناء استصدار الإذن لطباعة «التربية الدينية» أبدى الموظّف المسؤول تحفظه على بعض فقرات الكتاب، فلمّا راجعته فيها تراجع عن ملاحظاته ما عدا ما يقارب سطرين كانا بخصوص الإصلاحات التي قام بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والتي كانت فيها إشارة إلى جانب من الفساد في عهود الخلفاء السابقين، وكان هذا أمرًا من الممكن تجاوزه أثناء عملية التعليم، حيث بالإمكان إضافتهما بالقلم. لذلك يمكن القول بأن الكتاب فسح بشكل طبيعي تقريبًا، ولم تكن هناك عقبات تذكر.

ألم تواجهكم عقبات في تدريس الكتاب في حلقات المساجد بسبب تغييركم في منهجة وتقسيم أصول العقيدة الإسلامية، إذ إنكم لم تدرجوا العدل كأصل من أصول الدين؟

لم يكن ذلك مثيرًا للغرابة ولم يثرْ جوًّا من المواجهة أو الغضب لدى العلماء وطلبة العلوم الدينية حينها، وذلك لأني وجدتُ هذا التصنيف والتقسيم موجودًا عند المتقدّمين من علماء علم الكلام، حيث كانوا يعدون أصول الدين أربعة.

مثل ..؟

لا أذكر الآن، ولكنه أحد العلماء الكبار، فقد كانوا يذكرون في كتبهم أصول الدين دون أن يشيروا إلى العدل كأصل ستقل، وإنما أفرد في بعضها للخلاف بين العدلية من جهة والأشاعرة في الجهة المقابلة.

«التربية الدينية» والمنهج التكاملي في دراسة العقيدة

في هذا الكتاب كانت لكم طريقتكم المبتكرة في مسألة دراسة أصول العقيدة الإسلامية، حيث كانت وَفْق المنهج الذي وصفتموه في مقدّمة كتابكم «خلاصة علم الكلام» بالمنهج التكاملي الذي يدمج في دراسة أصول الدين بين العقل والنقل. وهو منهج ربما يكون في ذلك الوقت ـ بل وحتى في الوقت الراهن ـ ربما يكون نادرًا من يتناول أصول العقيدة وفقه، ألم يكن مستغربًا أن تتبعوا هذا المنهج رغم قلة سالكيه من جهة وعدم تقبّل الوسط الديني له من جهة أخرى؟

يوجد من القدماء من تناول أصول الدين وفق هذا المنهج، الذي جمع فيه بين العقل وما يوافقه من النقل، مثل السيد عبد الله شبّر في كتابه «حق اليقين»، وكذلك الملا صدرا في «الحكمة المتعالية»، ففي الوقت الذي يستدل فيه الفيلسوف الإسلامي صدر الدين الشيرازي على أصول العقيدة بالقواعد العقلية يساند ذلك بما يوافق هذه القواعد من الآيات والروايات، وهذه الطريقة التي أسميتها بالمنهج التكاملي في دراسة علم الكلام موجودة ولكنها لم تكن بشِكْل شائع.

هل كان لدراسة المقرر في المدارس النظامية دور في اتخاذ هذه الطريقة في تعليم العقيدة، حيث يُنتقى في مناهج المدارس النظامية ما هو أقرب إلى سن الطالب وأسهل في تناول المادّة العلمية، وربما يكون المنهج التكاملي أسهل وأقرب إلى عقلية الطالب من الاقتصار على المنهج العقلي؟

لم يكن لذلك علاقة، لأن مقرّرات المادة الدينية التابع لوزارة المعارف في العراق كان يتناول قضايا تاريخية ترتبط بالخلفاء وبعض الصحابة وقصص من القرآن وبعض الأحاديث الأخلاقية، وكذلك تعليم الصلاة بشكل مبسّط جدًّا والإشارة إلى بعض العبادات الفردية.

ولكن ما يلاحظ أن المدارس تنحو إلى اتخاذ الأسلوب التربوي في عرض مادّتها العلمية، وهذا لا يتناسب والمنهج العقلي الجافّ؟

بالإمكان عرض العقيدة الإسلامية وَفْق المنهج العقلي ومراعاة الأمور التربوية، حيث يمكن عرضه بالتمثيل بالقضايا العقلية البسيطة، فهذا لا يتنافى والجانب التربوي.

الاختصار في بحث أصل المعاد

من الملاحظ في كتابكم هذا «التربية الدينية» وكذلك «خلاصة علم الكلام» أنكم لم تطيلوا الحديث كثيرًا في أصل المعاد، وهناك وجهة نظر حول مسألة مناقشة كثير من القضايا التفصيلية في المعاد من قبيل روحانية البعث أو جسمانيته، ومسألة منطقة الأعراف وتجسّم الأعمال، ومَنْ يدخُل الجنّة ومن يدخل النار، فالبعض يُعرِض عن الدخول فيها لكونها من الغيبيات التي مِنْ غير الممكن الجزم فيها بنتيجة محدّدة، وليس من الضروري البحث فيها، والبعض الآخر يصرّ على البحث فيها، هل كان الشيخ يميل للرأي الأول فلا يفضّل البحث فيها؟

ربما يرجع ذلك إلى أن شؤون ومسائل المعاد عُرِضت في القرآن بشكل واسع وتفصيلي، فالقرآن تطرّق إلى كل شؤون المعاد من القبر إلى الجنة والنار كاملاً، ولو أردتُ أن أعرض لهذه التفاصيل لاحتجتُ إلى كتاب مستقل، وكان غرضي من عرض أصل المعاد في هذين الكتابين هو الإشارة إلى الآيات كدليل على المعاد واستقيت منها بعض التفاصيل.

ومسألة روحانية أو جسمانية البعث لا تدخل ـ في الواقع ـ في الأمور الاعتقادية، لأن هذا البحث قائم على أساس نظرية فلكية فيزيائية قديمة، وهو أن الإنسان مكوّن من أربعة عناصر: النار والتراب والهواء والماء، وهذه العناصر الأربعة موجودة في طبقات الفضاء ـ كما تقول النظرية ـ، فإذا وصل الإنسان أثناء صعوده إلى عنصر الماء يأخذ منه الماء قسمًا، وإذا وصل إلى الهواء يأخذ منه قسمًا آخر، فإذا وصل إلى القسم الرابع أخذ منه ما تبقّى، فلا يبقى منه إلا الروح. وهي نظرية غير ثابتة، فلا العلماء قديمًا أقرّوها كحقيقة علمية ثابتة، وبطبيعة الحال فإن علماء العصر الحديث لا يقبلون هذه النظرية، كما أن مسألة آلية البعث وكيفيتها بكل تفاصيلها أمور غيبية تتعلّق بقدرة الله سبحانه ولا توجد تفاصيلها في ما هو ثابت قطعيًّا في القرآن أو السنّة، فالعلم الحديث يثبت أن بعض طبقات الفضاء إذا وصلها الإنسان يتلاشى، فكيف عُرِجَ برسول الله ﷺ وكيف سيُحْشَر الناس بعد ذلك، هناك احتمالات عدّة بهذا الشأن، ولكن لا يقطع بها الإنسان حتّى تكون أمورًا اعتقادية وتدخل في صلب أصول الدين.

وهذه نقطة مهمّة من المفترض أن يُلِمَّ بها من يكتب في علم الكلام، ولا أرى أن الدخول في كثير من التفاصيل الخاصّة بالمعاد التي لا تكون مثبتة في القرآن أو في السنّة مجدٍ. نعم، ما ذكره القرآن من تفاصيل يجب الاعتقاد به، لأنه صادر عن الله سبحانه.

«خلاصة المنطق» .. بين الإضافة والحذف والتغيير

ربما يكون كتاب «خلاصة المنطق» هو أكثر كتبكم انتشارًا، وربما يكون ذلك من البدايات، أي منذ صدور الكتاب، ما السبب الذي دعا لانتشاره هذا الانتشار الواسع؟

ربما أُرجِعُ سبب انتشاره إلى سهولة تناول المادّة العلمية فيه من حيث التعبير ومن حيث تنظيم المادّة، فالمنطق كان يدرّس ولا يذكر في المقرّرات السابقة الغاية من دراسة المنطق إلا على نحو مجمل أو غير واضح، كأن يذكر في البداية أن الغاية من دراسة المنطق هو التصوّر والتصديق، من غير أن يشار إلى المقصود من هذه العبارة، ولذلك عندما قمتُ بتأليف «خلاصة المنطق» أوضحتُ أن المنطق يبحث في نقطتين أساسيتين، هما: التعريف والاستدلال، حيث يمثلان القسمين الرئيسين في المنطق، فالغاية من دراسة المنطق أن يتمكّن الدارس له من التعريف والاستدلال وَفقًا للقواعد المنطقية الصحيحة.

في تنظيمكم لأبواب الكتاب أضفتم البابين التاليين: «التحليل والتركيب» و«مناهج البحث العلمي»، ولم يكونا ضمن أبواب المنطق، كيف أدخلتم هذين البابين إلى علم المنطق وعلى أي المصادر كنتم تعتمدون في إضافة أو حذف بعض الأبواب؟

استفدتُ إضافة هذين البابين من كتب المنطق الحديثة، التي كانت تُدرَّس في ثانويات مصر والبلاد العربية الأخرى، وقد لجأتُ إلى كتب المنطق الحديثة لأنها تحاول أن تجمع ـ إلى حدٍّ ما ـ بين المنطق القديم والحديث، حيث تأخذ قدرًا بسيطًا من المنطق القديم، فتأخذ بمبادئ القياس والاستقراء وتطعّمها بالمصطلحات والأبواب الحديثة، مثل باب مناهج البحث العلمي. وقد حاولتُ أن أطعّم كتابي «خلاصة المنطق» بما هو سائد في الحوزة، ومما هو في كتب المنطق الحديثة، حيث استفدتُ من كتاب عفيفي: المنطق التوجيهي الذي كان يدرّس في ثانويات مصر.

في هذا الكتاب كما قمتم بإضافة بعض الأبواب تصرّفتم في هذا العلم فحذفتم منه كذلك بعض الأبواب، ولعل أبرز الأبواب التي حذفتموها «باب الصناعات الخمس»، لماذا؟

الصناعات الخمس ما عادت من المنطق الآن، وأصبح لكل صناعة منها المناهج الخاصة التي تتناولها، ولا أرى من داعٍ لإدراجها ضمن أبواب المنطق.

لم تكن هذه هي التغييرات فقط، فقد غيرتم في كثيرٍ من مصطلحات العلم وأبدلتموها بمصطلحات حديثة، فبدلاً من التعبير بـِ «القول الشارح» أو «المعرِّف» عبرتم بقولكم «التعريف»، وغيره من المصطلحات ..

يمكن تلخيص ما قمتُ به من تغييرات في هذا الكتاب في: تغيير التبويب من إضافة بعض الأبواب وحذف بعضها، وكذلك تغيير كثير من مصطلحات المنطق القديمة، وجعلها أكثر عصرية، وتوضيح الغاية من دراسة المنطق.

وأظن أن هذه التغييرات أثرت كثيرًا في قبول الكتاب واعتماده كمقرّر أساس في تدريس هذه المادّة.

مجاراة القوم ومخالفتهم في وضع مقرّرات العلوم

ذكرتم في كتابكم «خلاصة المنطق» أن المناطقة في بحثهم للدلالة عدّدوا الدلالة العقلية والطبعية والوضعية اللفظية منها وغير اللفظية، وكان الأجدى بهم أن يقصروا بحثهم على الوضعية اللفظية، وذلك من ناحية منهجية لارتباطها ـ وحدها ـ بالألفاظ دون البقية التي لا صلة لها بالبحث، ولكنكم جاريتموهم باعتبار أن مجاراة أكثر القوم في سلوكهم تكون مغتفرة أحيانًا، إلى أي درجة يجاري فضيلة الشيخ الدكتور القوم في المقرّرات الدراسية وإلى أي درجة يخالفهم؟

في الكتب القديمة يخصصون موضوعًا مستقلاً بعنوان «مباحث الألفاظ» يقصدون منه مصطلحات العلم، وكل من يدرس كتب المنطق القديمة لا يدرك أنهم يقصدون بذلك المصطلحات، وعندما أشرتُ إلى هذه النقطة في كتاب «خلاصة المنطق» ذكرتُ أنه من المفترض أن يُقتَصَر ـ لفهم المصطلح ـ على دراسة الدلالة الوضعية اللفظية فقط دون بقية الأقسام، لأنها تعني وضع

الألفاظ لمعانٍ، ومصطلحات كل علم هي عبارة عن وضع ألفاظ معينة لمعانٍ اصطلاحية جديدة داخله غير تلك المعاني المتداولة عرفيًّا.

ولكني عندما جاريت القوم كان بغرض أن لا تنفصل مقرّرات الحوزة عن القديم تمامًا، خصوصًا عندما يكون الإبقاء على بعض القديم لا يضرّ كثيرًا بفهم العلم والاستفادة الحقيقية منه، هذا بالإضافة إلى أنني أشرتُ إلى المخالفة المنهجية في الكتاب، وهذا بحدّ ذاته إلفاتة جيدة للطالب.

ولكنكم جاريتم المناطقة في بعض النقاط التي لا ترون صحّتها في المنطق، ومع ذلك أثبتموها في كتابكم «خلاصة المنطق»، من ذلك أنكم ذكرتم نفس الغاية التي يذكرها المناطقة من دراسة المنطق، وهو: عصمة الذهن عن الخطأ في الفكر، لماذا؟

في كتاب خلاصة المنطق لم أُشِرْ إلى هذه النقطة (عصمة الفكر عن الوقوع في الخطأ) تحت عنوان الغاية من دراسة العلم، وإنما ذكرتها كأحد القيود التي يضعها بعض المناطقة في تعريفهم للمنطق. ومن الجيّد الالتفات إلى هذه نقطة حيثُ يُغفل الإشارة إليها في تدريس المنطق، فالمناطقة في تعريفهم لعلم المنطق يعرّفونه بأنه: «آلة قانونية تعصم مراعاتها الخطأ في الفكر»، وفي مجال التطبيق نجد أن هذه النقطة غير متوفّرة من أكثر من جهة: **الأولى**: أن المنطق علم يدرس كيفية تعريف المفردات والاستدلال على القضايا، ولكنّه يدرسها شكلاً لا مضمونًا، بمعنى أن علم المنطق لا يدرس صحّة مضمون كل عبارة في التعريف، وكذلك لا يدرس صحّة مضمون كل عبارة في الاستدلال، وإنما يدرس الآلية الشكلية للتعريف أو الاستدلال، وما دام الأمر لا يطال صحّة المضمون لا يمكن أن يعصم المنطقُ الإنسانَ من الخطأ.

والثانية: أن من يدرس المنطق لا يُعْصَم فكره من الخطأ في الواقع العملي.

ومن جهة ثالثة: كان المفترض من علماء المنطق أن يتبينُوا الغاية من علم المنطق من خلال تتبّع مفردات العلم نفسه، ومن الواضح أن علم المنطق يركّز في دراسته على نقطتين أساسيتين، هما: التعريف والاستدلال.

ولكنكم في تعريف علم المنطق وكأنكم جاريتم القوم في التعريف مع تغيير يسير؟

في تعريفي لعلم المنطق اتخذتُ طريقًا وسطًا بين ما يذكره القدماء وبين واقع العلم، فعرّفته بقولي: «**المنطق**: دراسة قواعد التفكير الصحيح»، فهذا التعريف لعلم المنطق يتوافق بشِكْل قريب مع التعريف القديم، وكذلك يتوافق بشِكْل غير صريح مع واقع العلم، لأن تعلُّم تعريف المفردات والاستدلال على القضايا بصورة صحيحة يشكّل قاعدة مهمّة من قواعد التفكير العلمي الصحيح.

بعض المصطلحات التي تعترضون عليها أبقيتموها كما هي، فأنتم لا توافقون على مصطلحات مثل: «الصغرى» و«الكبرى» و«الحدّ الأوسط»، لاعتبارات لغوية، ومع ذلك بقيت كما هي في كتابكم «خلاصة المنطق»؟

لا يمكن التغيير بشكل جذري دفعة واحدة، لأن هذه المصطلحات الخاصّة بعلم المنطق ـ مثل: الصغرى والكبرى والحدّ الأوسط والنتيجة ـ أخذت طريقها من المنطق إلى علم الأصول والفقه وكذلك إلى الرياضيات، فليس من السهل أن يأتي فرد ويغير كل هذا التراكم الذي حصل نتيجة عقود وتناثر في مئات الكتب وتردّد على آلاف الألسنة، إن المجامع اللغوية لو أرادت ذلك لن تستطيع؛ لأنه يحتاج إلى وقت، ولكن ما أقوم به في بعض الأحيان هو الإشارة فقط إلى هذه الأخطاء، وهو أمر جيّد بحدّ ذاته.

المـراجـع

١. القرآن الكريم.
٢. نهج البلاغة.
٣. الصحيفة السجّادية.
٤. رسالة الحقوق.
٥. الإرشاد، الشيخ المفيد.
٦. أصل الشيعة وأصولها، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.
٧. الإسلام، الشيخ محمد أمين زين الدين.
٨. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين.
٩. تحف العقول، ابن شعبة.
١٠. التكامل في الإسلام، أحمد أمين النجفي.
١١. ثورة الحسين، المؤلف.
١٢. الذريعة، الشيخ آغا بزرك.
١٣. سيرة النبي ﷺ، ابن هشام.
١٤. صور من حياة الرسول ﷺ، أمين دويدار.
١٥. عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر.
١٦. غريب القرآن، السجستاني.

١٧. في انتظار الإمام، المؤلف.
١٨. كلمات القرآن، مخلوف.
١٩. مجمع البيان، الطبرسي.
٢٠. المفصل في تاريخ الأدب العربي، جماعة من المؤلفين.
٢١. من البعثة إلى الدولة، المؤلف.
٢٢. النبأ العظيم، الدكتور محمد عبد الله دراز.
يضاف إليها:
٢٣. معلوماتي الخاصة التي استفدتها من دراساتي ومطالعاتي.
٢٤. خواطري الخاصة التي استوحيتها من جوّ النص وملابساته.
٢٥. خبرتي التربوية الشخصية التي أفدتها من تدريسي لمادّة الدين خلال سنوات.
٢٦. مراجعاتي لعدّة من المؤلفات المعنية بمناهج تدريس الدين.

المحتويات